www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

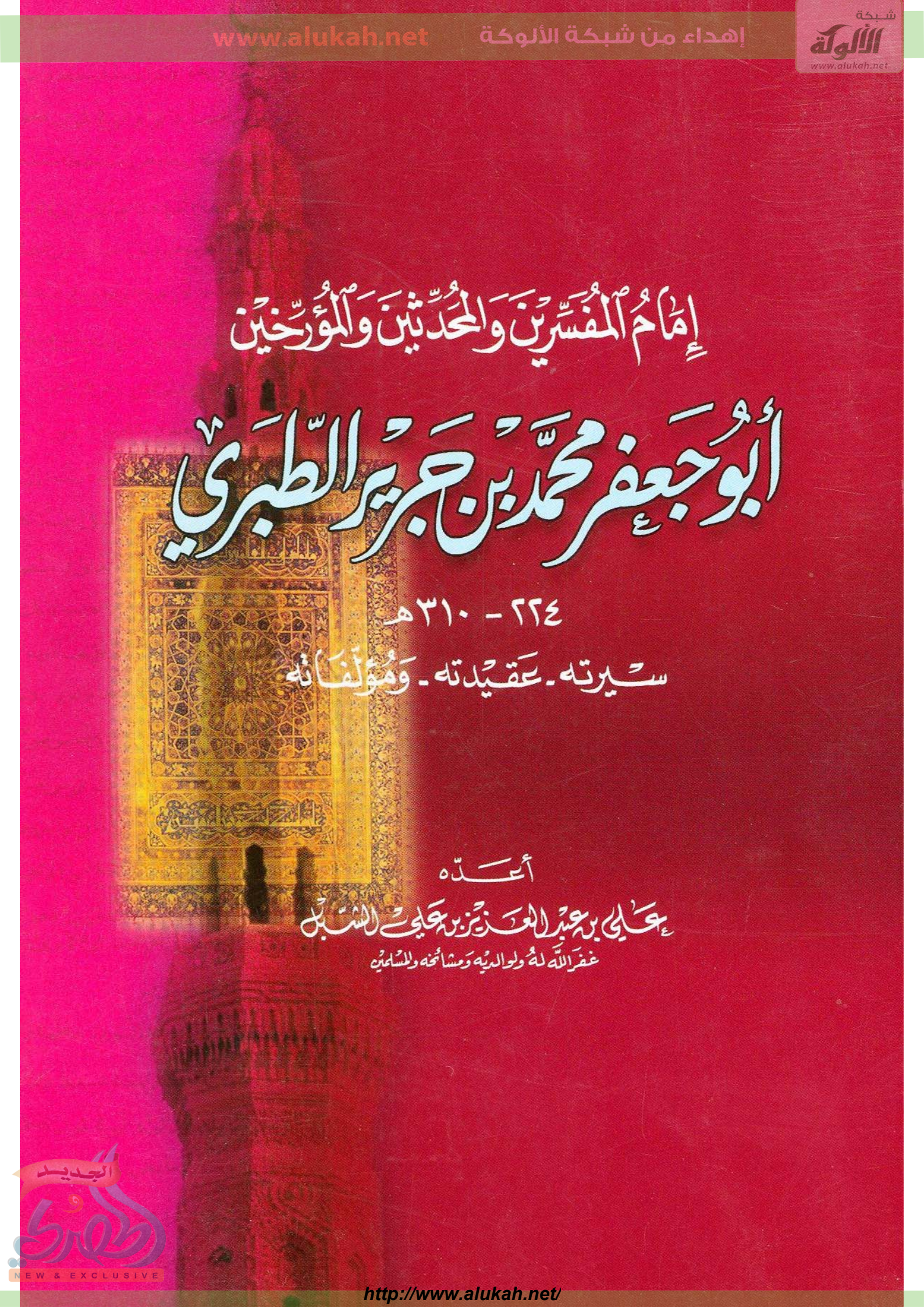

إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

سيرته - عقيدته - ومؤلفاته

أعده

علي بن عبد العزيز بن علي الشبل

غفر الله له ولوالديه ومشائخه والمسلمين

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مكتبة الرشد
ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض
شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)
ص.ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١
Email: alrushd@alrushdryh.com
Website: www. rushd.com

* فرع طريق الملك فهد - الرياض - غرب وزارة البلدية والقروية هاتف ٢٠٥١٨٣٠
* فرع مكة المكرمة - هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦
* فرع المدينة المنورة - شارع ذر الغفاري هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ - ٨٣٨٣٤٢٧
* فرع جدة - ميدان الطائرة - هاتف ٦٧٧٦٣٣١
* فرع القصيم - بريدة طريق المدينة هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
* فرع ابها - شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧
* فرع الدمام - شارع ابن خلدون هاتف ٨٢٨٢١٧٥

وكلاؤنا في الخارج

* القاهرة : مكتبة الرشد / هاتف ٢٧٤٤٦٠٥
* الكويت : مكتبة الرشد / هاتف ٢٦١٢٣٤٧
* بيروت : دار ابن حزم / هاتف ٧٠١٩٧٤
* المغرب : الدار البيضاء / مكتبة العلم / هاتف ٣٠٣٦٠٩
* تونس : دار الكتب المشرقية / هاتف ٨٩٠٨٨٩
* اليمن : صنعاء / دار الآثار / هاتف ٦٠٣٢٥٦
* الاردن : دار الفكر / هاتف ٤٦٥٤٧٦١
* البحرين : مكتبة الغرباء / هاتف ٩٥٧٨٣٣ - ٩٤٥٧٣٣
* الامارات : الشارقة / مكتبة الصحابة / هاتف ٥٦٣٣٥٧٥
* سوريا : دمشق / دار الفكر / هاتف ٢٢١١١٦٦
* قطر : مكتبة ابن القيم / هاتف ٤٨٦٣٥٣٣

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE
http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

سيرته - عقيدته - ومؤلفاته

تأليف

علي بن عبد العزيز بن علي الشبل

غفر الله له ولوالديه ومشائخه والمسلمين

مكتبة الرشد

ناشرون

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الابتـــــداء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن الله جل ثناؤه جعل العلماء سببًا لحفظ دينه، و إقامة شريعته، والدعوة إليها اعتقادًا وقولاً وعملاً، فكان هذا من نصيبهم في الجهاد، وما ذاك إلا لأن العلم الشرعي: العلم الموروث عن الله وعن رسول الله من أفضل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربِّه؛ لأن أهله هم أهل الله وخاصته، وهم الذين أشهدهم الله على أحق الحقائق ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. وهو العلم الذي أورثهم خشيته ومحبته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾. وهم الذين سهّل الله بعلمهم طريقهم إلى الجنة، وأخضع لهم ملائكته ومخلوقاته بالاستغفار لهم والرضا عن صنيعهم.

ولأنهم ورثة الأنبياء، ومصابيح الدجى التي تضيء الليالي الظلماء تحرق أنفسها لتضيء للناس طريقهم إلى الله وإلى جناته ورضوانه.

هؤلاء هم العلماء، وتلك مهمتهم، والسعيد من عمل عملهم، وسلك طريقتهم.

وهذه الأمة ـ والحمد لله ـ زخرت بعلماء كثيرين في كل عصر ومصر، فلا تخلو الدنيا من عالم في قطر أو عصر، حتى كانوا فيها كالأنبياء في بني إسرائيل قبلنا، كما روى في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

وإن من العلماء الذين شُهد لهم بالعلم النافع، والعمل الصالح، والتفاني في الدعوة إلى الله، وتبليغ علمه، والجهاد في ذلك... إمام الأئمة، وشيخ المفسرين والمحدثين والفقهاء والنحويين والمؤرخين الشيخ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري.

الذي لا يذكر علماء الإسلام الكبار إلا وذكر في عدادهم، ولايستشهد بأقوال العلماء في المسائل والاختلاف إلا و يرد ذكره

الجديد NEW & EXCLUSIVE

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ضمنهم، وهو مع هذا إمام علم من أئمة أهل السنة، ونابغة من نوابغ الزمان: علمًا وحفظًا وذكاءً.

هذا . . . وإن في إظهار ترجمته وسيرته ونشأته ـ وأمثاله من العلماء ـ إضاءة لدرب الطلب، وإبراز جهاده وعلمه ومكانته عند علماء الإسلام، دعوة لسلوك طريقه ونهج منهجه، وفي التعريف بآثاره وتركته من المؤلفات حث لأهل الزمان ـ من العلماء والكبار والصغار ـ للنهل منها ودراستها، وإشغال الأوقات بقراءتها ودراستها والانتفاع منها، والبحث فيها.

لهذا جمعت هذه الصفحات في هذا المختصر للدلالة على ذلك، تبصرة لنفسي ولإخواني، كيما نعيش مع هذا الإمام من خلال سيرته ومكانته ومؤلفاته من خلال الفصول الآتية:

- في الكلام على عصره من النواحي السياسية والاجتماعية والعلمية، وأثره عليه.
- اسمه ونسبه، ونشأته وولادته.
- رحلاته، وأهم شيوخه الذين أخذ عنهم، وأشهر تلامذته الذين أخذوا عنه.
- وثناء العلماء عليه في نماذج من خلال التاريخ.
- ثم وصف خَلْقه، وذكائه وحفْظه، ومذهبه الفقهي، ومذهبه العقدي.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- ثم عبادته وتدينه، وزهده وورعه، وجرأته في إظهار الحق.
- ثم مكانته العلمية عند العلماء: في القرآن وعلومه والحديث والعقيدة والفقه والتاريخ والأخبار والعربية بفنونها، وبلاغته وشعره.
- ثم أخلاقه ومكارمه بإظهار عزة نفسه وكرمه ومروءته ودعابته وأدبه ووفائه وتواضعه مع نظرته المتفائلة.
- ثم محنته وفتنته التي قدرت له، إذ المؤمن مبتلى، والبليّةُ جليةٌ في العلماء.
- ثم في تصانيفه وآثاره العلمية في وصف ثلاثين كتابًا من تركته.
- والخَاتمة في وفاته ومراثيه.

فصار هذا تطواف في معالم حياة هذا الإمام الذي أبهر علمه العلماء. أسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب، وأن يجعلنا نسلك مسلك هذا الإمام وننتفع بعلومه، ونترسم خُطاه مع أمثاله من علماء الإسلام الثقات، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا، ووالدينا ومشائخنا والمسلمين.

آمين.. اللَّهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا متتابعًا تتابع الليل والنهار، والسر والجهار.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الناحية العلمية في عصر ابن جرير

عاش الإمام أبو جعفر بن جرير في القرن الثالث الهجري، وهو أزهى العصور العلمية الإسلامية اهتمامًا بتدوين العلم ونشره، والإقبال الكبير عليه من المسلمين. مع سبق القرن الأول والثاني بميزة أهله وصدقهم في إيمانهم، وظهور السنة فيهم وخفاء ضدها؛ فهم الذين وصفهم النبي ﷺ بالخيرية في حديث عمران بن الحصين في الصحيحين: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»... الحديث.

فمما تميز به هذا العصر التدوين والتأليف والتصنيف في العلوم الشرعية والعربية والمادية.

فمن ذلك البدء بتدوين التفاسير المسندة، وكتب الحديث النبوي من الصحاح والمسانيد والمستخرجات والأجزاء، وأهمها الكتب الستة الأمهات، والمسند للإمام أحمد.

وصاحَب هذا التدوين توسعٌ في السماع من الأئمة لتصانيفهم، فقد حرز الذين سمعوا الصحيح الجامع للإمام البخاري (المتوفى ٢٥٦) بنحو من تسعين ألفًا، من آخرهم راوية الصحيح: محمد بن يوسف

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفربري (ت ٣٢٠)، وقد سمعه مرتين في سنة ٢٤٨، ٢٥٢ هـ.

ومن الدلالة على الازدهار العلمي التوسع في إنشاء المدارس والمكتبات العلمية، حيث تنافس في إنشائها وإيقاف الأوقاف عليها الخلفاء والأمراء والوزراء والتجار، فلا تكاد تخلو قرية فضلاً عن مدينة من مدرسة ومكتبة.

وفيه قامت سوق الوراقين والنساخ والتفنن بالكتاب والخطوط، ناهيك عن دوْر حلَق العلم، ومنشؤها الأول: المساجد؛ بيوت الله، فهي مبعث العلم، ومهده الذي منه شع، ففي هذا القرن بالذات ازدحمت المساجد والجوامع بالعلماء، خصوصًا أهل الحديث الذين يُملون ويسمعون حديث رسول الله ﷺ رواية ودراية حتى سمعنا العجب من كثرة الطلاب، والذين يعدُّون أحيانًا بعشرات الآلاف في المجلس الواحد.

وكان لبلاد المترجم له نصيب من ذلك في همذان وأصبهان ودينور ومرو والري وطبرستان وجرجان...

هذا وتركزت النهضة العلمية في العراق ببغداد والبصرة والكوفة، وفي الشام في دمشق وحلب وبلاد فلسطين، وفي مصر بالقاهرة، وفي الأندلس، وفي بلاد الحرمين، وصنعاء باليمن.

وكان من أبرز العلماء الذين اشتهروا في هذه الفترة العلمية:

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١ ـ الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة ببغداد (٢٤١هـ).

٢ ـ الإمام أبو عبد الله البخاري (٢٥٦هـ).

٣ ـ الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١هـ).

٤ ـ الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ).

٥ ـ الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ).

٦ ـ الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٩٧هـ).

٧ ـ الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي صاحب السنن (٢٥٥هـ).

ومنهم الإمام إسحاق بن راهويه الحنظلي، والإمام عثمان بن سعيد الدارمي، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة، والربيع بن سليمان الأزدي الشافعي، وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، ومحمد بن يحيى الذهلي، و عبد الله وصالح ابنا أحمد، وإبراهيم الحربي، . . وغيرهم كثير أزهروا عصرهم، وأناروه بنور الله.

ومن أشهر أقران الإمام ابن جرير الأئمة الثلاثة المشهورون: أبو بكر ابن خزيمة (٣١١هـ) صاحب الصحيح، والتوحيد، ومحمد بن هارون الروياني (٣٠٧هـ) صاحب المسند، ومحمد بن نصر المروزي (٢٩٤هـ)، وسيأتي خبره معهم، رحم الله الجميع.

* * *

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عصره سياسيًا واجتماعيًا

عاش الإمام ابن جرير ما بين سنة ٢٢٤ إلى ٣١٠هـ، وهو عصر الدولة العباسية، في آخر قوتها، وبدء ضعفها وجورها، وتسلّط الموالي والشعوبية عليها.

فقد عاصر أحد عشر خليفة هم: المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهتدي، والمعتمد، والمقتصد، والمكتفي، والمقتدر. تسلَّط فيها الأتراك على السلطة، كما زامن بداية حركات الانفصال عن الدولة الواحدة إلى دويلات متفرقة من بعد عهد المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ).

كما كان في أول حياته تسلط المعتزلة وتنفذهم في القيادة العباسية في عهدي: المعتصم والواثق (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ، ٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ)، ثم عزّة أهل السنة والجماعة في أثناء عهد المتوكل وكبته للمعتزلة، ونشره لمقالة أهل الحديث، وإكرامه للإمام المبجل أحمد بن حنبل، ورفع المحنة عن الناس.

وخلال هذه المدة لم تَخْلُ طبرستان وما حولها من تلك الانقسامات والحركات السياسية.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلا أنَّه مما يلاحظ ـ والحمد لله ـ ضعف تأثير الأحوال السياسية المتقلبة في الناحية العلمية والدينية، ولذا ترون عصور الضعف السياسي، لاسيما في الدولة العباسية، يصاحبه عكسيًا ازدهار علمي، وتطور فيه وانتشار له.

أما من الناحية الاجتماعية: فهي امتداد لما قبل عصره، إلا أنه يُلاحظ في هذا العصر انتشار الجنس التركي في العراق وفارس بسبب مصاهرة الخلفاء لهم.

كما نلاحظ انتشار الأعاجم في بلاد العرب لدخولهم أصلاً تحت لواء الخلافة الإسلامية.

وأهم ميزة تُميز العرب عن الموالي والأعاجم مسألة النسبة، فالعربي ينتسب إلى قبيلته، والموالي إلى بلادهم وصناعاتهم وأعمالهم؛ فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبناء العرب بالمدينة: (انتسبوا إلى آبائكم، ولا تنتسبوا إلى بلادهم كأهل السواد). ولا يعني هذا بحال: التفريق والتمييز العنصري بين الشعوب والقبائل؛ فالمعيار هو التقوى والعمل الصالح لخدمة الدين ورفعته.

إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن الناحية الدينية في بلده مركبة ومضطربة من أهل الأهواء من طوائف البدع مع أهل السنة. ففي طبرستان: المعتزلة والجهمية والرافضة بطوائفها. وبشمالها: الباطنيون

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بجبال الديلم، وكذا المرجئة والخوارج، ولهذه الفرق جماعات وانقسامات داخلية مبسوطة في كتب المِلَل والفرَق.

أما الكلابية وبعدها الأشعرية والماتريدية فلما تنتشر بعد في عصر الطبري، وإنما كانت في بدئها محدودة الانتشار.

* * *

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اسمه ونسبه

هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الآملي، هذا ولما سئل عن الاستزادة في نسبه أنشد قول الشاعر:

فقد رفع العجّاجُ ذكري فادعني باسمي إذا الأنسابُ طالتْ يكفني

وألقابه كثيرة، فهو: الإمام، المجتهد، المفسر، المحدث، الحافظ، الفقيه، المؤرخ، العلامة، اللغوي، الثقة الثبت، المقرىء . . المشهود له بذلك كله، وهذه الألقاب تَشْرُف به.

وكنيته:

أبو جعفر، بالاتفاق، وهو ما يكني به نفسه دائمًا، وينسب الشيخ إلى أبيه فيقال: ابن جرير، أو إلى بلده فيقال: الطبري.

ولادته ونشأته:

وُلد أبو جعفر بمدينة آمل طبرستان في آخر سنة ٢٢٤هـ، ونشأ بهذه المدينة، وكان أبوه موسرًا، أنفق عليه ليتعلم العلم؛ لرؤيا رأى فيها النبي ﷺ وهو بين يديه، ومعه مخلاة مملوءة حجارة، ومحمد بن جرير يرمي بها بين يديه. فعبِّرت له: بأن ابنك إن كبر، نصح في دينه، وذبّ

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عن شريعته ﷺ (١).

فكانت سببًا في تبكيره في طلب العلم، فحفظ القرآن وعمره سبع سنين، وأمَّ الناس في الصلاة وعمره ثمان سنين، وبدأ يكتب الحديث وعمره تسع سنين من مشائخ طبرستان وما حولها كالري وأعمالها، فحصّل بها مبادىء العلوم وأساسها ليشتدّ عُوده، ويستمر على الجادة، فينافس أقرانه؛ بل بزَّهم كثيرًا حتى شهدوا له بالتقدم عليهم، وبالحفظ والتحصيل مما جعله محظيًا عند شيوخه منذ صغر سنه.

ويذكر عن نفسه هذه النشأة الجادة في التحصيل؛ حيث يقول: كنا نمضي إلى محمد بن أحمد الدولابي ندرس عليه التاريخ، وكان في قرية من قرى الري، ثم نرجع نَعْدُو مسرعين كالمجانين لنلحق بدرس محمد ابن حميد الرازي في إملاء الحديث، حتى ذَكَر أنه كتب عنه أكثر من مائة ألف حديث، ودرس عليه كذلك التفسير، ودرس الفقه على أبي مقاتل فقيه الري.

هذا . . . وقد لبث ابن جرير في بلاده حتى جاوز البلوغ بقليل؛ حيث بلغ عمره نحوًا من ست عشرة سنة، حيث شغفت نفسه للقاء أحمد بن حنبل فرحل إليه.

---

(١) هذه الرؤيا صالحة من المبشرات، كما فسرها النبي ﷺ بقوله: «الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة»، وقرأ قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الآية. أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي ذلك كله كان أبوه ينفق عليه ليتفرغ في طلب العلم والسفر لأجله، فكان أبوه في ذلك كله يمده بالمال حتى وهو في سفراته في البلدان، حتى قال مرة وهو في رحلاته: أبطأت عني نفقة والدي، واضطررت إلى أن فتقت كُمَّيْ قميصي فبعتهما.

وكان أبوه بعد موته خلّف له مزرعة يُرسَلُ له نصيبه منها في كل سنة.

❊ ❊ ❊

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أهم شيوخه الذين أخذ عنهم

لقي الإمام ابن جرير علماء كُثُر، وسمع من شيوخ صعب حصرهم حتى قال الذهبي لما عدّد أهم شيوخه ـ قال: (وأمماً سواهم) . في حين يقول في غيره من العلماء: ولقي كثيراً غيرهم. لكن ابن جرير لقي أمماً، وتدل على الكثرة الكاثرة، وللدلالة على كثرتهم انظر أسانيده في التفسير والتهذيب.

ومن أهم شيوخه:

١ - محمد بن حميد الرازي التميمي أبو عبد الله (ت ٢٤٨)، وهو أول شيوخه في الري، أخذ عنه الحديث والتفسير حتى ذكروا أن ما أخذه عنه من الحديث مائة ألف. والإمام ابن حميد من حفّاظ الحديث، وقد روى عنه الإمام أحمد بن حنبل، وقد ضعفه الحافظ في التقريب، وقال: كان ابن معين حسن الرأي فيه.

٢ - عمران بن موسى الليثي البصري (٢٤٠)، وقد لقيه بها في أول دخوله العراق، كان رحمه الله حافظًا صدوقًا و يُعرف بالقزاز، هو أول شيوخه وفاةً.

٣ - أبو همام الوليد بن شجاع السكوني (٢٤٣) لقيه في الكوفة، وهو

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إمام حافظ ثقة من رجال صحيح مسلم والسنن، لقيه ابن جرير بالكوفة.

٤ - أحمد بن منيع البغوي البغدادي أبو جعفر (٢٤٤) صاحب المسند، الإمام الحافظ الثقة من أقران الإمام أحمد ومن زهاد العلماء. روى عنه ببغداد لما فاته الأخذ عن الإمام أحمد.

٥ - محمد بن العلاء الهمداني أبو كريب الكوفي (٢٤٧) لقيه في الكوفة، وهو حافظها الثقة المتقن، الذي روى له أصحاب الكتب الستة، وبلغ ما تلقاه عنه ابن جرير مائة ألف حديث.

وكانت لابن جرير مع الإمام أبي كريب قصة، إذ كان أبو كريب فيه شدَّة وشراسة مع إمامته وحفظه؛ حيث قال ابن جرير: حضرت مرة إلى داره مع طلاب الحديث، فاطّلع علينا من خوخة له، والطلاب يلتمسون الدخول عليه ويصيحون لذلك، فقال لهم: أيكم يحفظ ما كتبه عني؟ فالتفت الطلاب بعضهم إلى بعض، ثم نظروا إليَّ فقالوا: أنت تحفظ ما كتبت عنه؟ قلت: نعم. قالوا: هذا؛ فاسأله. فقلت: حدثتنا في كذا وكذا، وفي يوم كذا وكذا، فأخذ أبو كريب يسألني إلى أن عظمتُ في نفسه، فقال لي: ادخل إليّ، فدخلت فمكنني من حديثه.

٦ - هناد بن السَّريِّ التميمي الكوفي (٢٤٣) الإمام الحافظ الثقة، لقيه

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن جرير بالكوفة، والإمام هناد من رجال أصحاب السنن.

٧ - محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب البصري الأموي (٢٤٤) لقيه بها، وهو الإمام الحافظ الصدوق، من رجال الإمام مسلم وبعض أهل السنن.

٨ - محمد بن بشّار العبدي البصري (٢٥٢) المعروف ببندار، الإمام الحافظ الثقة، الذي أخرج له جماعة أصحاب الأمهات، لقيه بالبصرة وأكثر عنه، وهو رحمه الله من أوعية الحفظ، ومشاهير رواة الحديث.

٩ - الإمام الحافظ يعقوب بن إبراهيم الدورقي (٢٥٢) صاحب المسند، وهو من رجال الكتب الستة.

١٠ - بشْر بن معاذ العقدي البصري (٢٤٥) الضرير، لقيه بالبصرة.

١١ - محمد بن عبد الأعلى الصنعاني البصري (٢٤٥)، لقيه بالبصرة، وهو أحد الحفّاظ الثقات الكبار، روى له الإمام مسلم وبقية أصحاب السنن.

هؤلاء الحفّاظ اخترتهم لأنهم من طبقة الإمام أحمد الذين علا إسناد ابن جرير بهم، وسمع عنهم في آخر حياتهم، وأول حياته العلمية.

١٢ - الربيع بن سليمان الأزدي (٢٥٦)، لقيه في دخوله مصر للمرة

جديد NEW & EXCLUSIVE

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الثانية، و أخذ عنه فقه الإمام الشافعي ومروياته.

١٣ - الحسن بن محمد الزعفراني البغدادي الشافعي (٢٦٠)، لقيه بها فأخذ عنه فقه الشافعي، كما أخذه بها عن محتسب بغداد المجتهد الشافعي أبي سعيد الإصطخري.

١٤ - إسماعيل بن يحيى المزني (٢٦٤) صاحب الشافعي، لقيه بالقاهرة، وأخذ عنه الفقه ومروياته.

١٥ - محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المالكي المؤرِّخ (٢٦٨)، أخذ عنه فقه مالك، والتاريخ، كما أخذ فقه مالك عن أخويه سعد وعبد الرحمن، وكان محمد هذا ممن حمل من مصر في الفتنة بخلق القرآن، لكنه ثبت ولم يجب إليها، ثم ردّ إلى مصر.

١٦ - يونس بن عبد الأعلى الصَّدفيّ (٢٦٤)، أخذ عنه بمصر قراءة حمزة وورش، من طريقه عن علي بن كبسة عن سليم بن عيسى عن حمزة، كما أخذ عنه الفقه الشافعي، ومروياته في الحديث والأخبار.

١٧ - سليمان بن عبد الرحمن بن خلاد الطلحي (٢٥٢)، أخذ عنه القراءات من طريق جده خلاد عن شيوخه.

١٨ - علي بن سراج المصري أبو الحسن (٣٠٨) لقيه بمصر، فأخذ عنه اللغة والأدب، أخذه عنه بدخول مصر الأول في الفسطاط، وقد

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE
http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أعجب به جدًا بحفظه وذكائه وسعة اطلاعه حيث أن ابن جرير كان يحفظ شعر ابن الطرماح، ولم يكن بمصر من يحفظه غيره، وكان ابن سراج حافظًا محدثًا، عالمًا بأيام الناس وأخبارهم.

١٩ - كما أخذ علم النحو والعربية وأدبها عن أحمد بن يحيى ثعلب الكوفي (٢٩١) إمام الكوفيين في عصره، وقد أثنى على ابن جرير ثناءً جيدًا مع شدته في مدح الناس جدًا.

٢٠ - كما أخذ الفقه الحنفي عن أبي مقاتل في بلده الري، فتجمع له الفقه على المذاهب الثلاثة المشتهرة بزمنه، مع فقه الظاهرية؛ حيث أخذه عن إمامهم: داود بن علي الأصبهاني الظاهري (٢٧٠)، لقيه بها فأخذ عنه، وكتب عنه من كتبه كثيرًا، إلا أنه ردَّ عليه بكتاب سمَّاه «الردّ على ذي الأسفار»، وما الناس إلا رادّ ومردود عليه، وهذا شأن العلم، فليفطن لهذا طلابه.

٢١ - الشيخ العباس بن الوليد البيروتي (٢٧٠هـ)، وأخذ عنه القراءات ببلده بيروت في بلاد الشام لما رحل إليها من العراق.

هذا وإن كان ابن جرير قد تلقَّى أكثر العلوم عن أهلها المشائخ، فهو - رحمه الله - قد تولَّى تعليم نفسه بنفسه في بعض الفنون، والتوسع في بقيتها، فعلم العروض علمه نفسه بنفسه، كما ذكره هو عن نفسه لما استعار من صديق له كتاب العروض للخليل الفراهيدي، فأمسى غير عروضي وأصبح عروضيًا، إذ أحاط به

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في ليلة على نفسه، كذلك شعر الطرماح بن حكيم استظهره على نفسه . . . وغيرها.

وهذا أمر لا يستطيعه كل أحد إلا النوابغ من الطلاب، وهو مشاهد في كل زمان في هؤلاء خاصة، لا كما يظنه بعضهم استغناء عن الشيوخ اكتفاءً بذكائهم، فإن من كان إمامه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه، وهذا ابن جرير وغيره - ممن بلغوا من الذكاء والنبوغ مبلغًا قل أن يُوصل إليه - كان شيوخهم بالكثرة بما يصعب حصرهم والإحاطة بهم.

وهو نموذج لطلاب العلم في زمننا وما بعده للإفادة من هذا المنهج في طلب العلم وتحصيله، والذي عزف عنه كثير من المتعلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهي سُنَّة من أحياها كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً.

* * *

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رحـــلاته

لما حصّل مبادىء العلوم في بلده وسمع من شيوخها، همَّت نفسه بالاستزادة والرحلة لملاقاة الشيوخ والسماع منهم، فقد كانت الرحلة في طلب العلم ولُقْيا العلماء والسماع والرواية عن الأكابر ميزة علماء ذلك العهد، فلا تجد عالمًا بقي في بلده مكتفيًا بما سمعه من علمائها في الغالب الأعم. خصوصًا والعصر لم يزل عصر رواية وسماع وتحديث، كما أن الأخذ عن العلماء ـ غير مروياتهم ـ سبب مهم يسعى إليه طلاب العلم في ذلك الوقت من فقههم وأدبهم وسمتهم وعبادتهم.

وإمامنا ابن جرير ممن سار على هذه الجادة، فرحل إلى بلاد الري ثم يمم وجهه شطر العراق لبغداد مميًا نفسه لُقْيا الإمام أحمد بن حنبل، ولكنه قبل وصوله إليها بقليل بلغه نبأ وفاته، فواصل عزمه في الرحلة ولقيا بقية حفّاظ العلماء في بغداد والبصرة والكوفة، فأدرك فيها محمد ابن بشار المعروف ببندار، وإسماعيل بن محمد السُّدَّي، وهنَّاد بن السَّري، ومحمد بن المثنى، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني، وأحمد ابن منيع، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، ومحمد بن العلاء الهمداني أبا كريب، وفي الفقه الحسن بن محمد بن الزعفراني.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم يمم نحو الشام فلقي في بيروت الإمام المقرىء العباس بن الوليد البيروتي، فأخذ عنه القراءة برواية الشاميين.

ثم توجه إلى مصر في سنة ٢٥٣هـ، ودخل الفسطاط ثم رجع إلى الشام مرة أخرى عاد بعدها إلى مصر سنة ٢٥٦، فدخل القاهرة، وأخذ الفقه الشافعي عن الربيع بن سليمان المرادي، وإسماعيل بن إبراهيم المزني، ولقي فيها محمد بن عبد الحكم المؤرخ المشهور، وأخذ عن أصحاب عبد الله بن وهب القرشي الفهري تلميذ مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ولقي يونس بن عبد الأعلى الصدفي، وابن سراج الأديب، ولقي بها جماعة غيرهم.

ثم رجع بعدها إلى بغداد، ثم بلاده طبرستان؛ ليعود بعد زيارته الأولى لبلده إلى بغداد مرة أخرى، ثم رجع إلى بلده للمرة الثانية.

حتى رجع إلى بغداد فاستقر بها من سنة ٢٩٠هـ وعمره ست وستون سنة إلى أن توفاه ربه في سنة ٣١٠هـ.

وكان هروبه من بلده في المرة الأخيرة بسبب تأليفه: فضائل الشيخين، وسيأتي في مؤلفاته.

هذا.. ولم أر في رحلاته سفره إلى الحرمين الشريفين لطلب العلم، ولكنه سافر للحج، ثم رجع ولم يمكث فيهما للتحصيل. كما ذكره في شرح حديث الهميان وسيأتي في مؤلفاته برقم ١٨.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعليه فكانت رحلته رحمه الله مركزة بين قرى الري والعراق ومصر، وبها اجتمع بأكابر العلماء والحفاظ فأسند عنهم، وأخذ من علومهم ما تأهل به لمكانته التي وصل إليها.

وبالمناسبة أشيد بأهمية الرحلة لله بسبب طلب العلم، هذه السنة التي لابد أن يذيعها وينشرها أهل العلم وطلابه. ففيها همَّة وتجرد للعلم، واجتماع بأكابر أهله، ولو لم يكن فيها إلا إتعاب النفس بسبب ذلك، ونيل أجره من الله تعالى لكفى حافزًا؛ فإنه جهاد وصبر على طاعة الله.

ومن العجائب في رحلة ابن جرير ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده: عن أبي العباس البكري قال: جمعت الرحلة بين ابن جرير وابن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الرُّوياني بمصر، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضرَّ بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه سأل لأصحابه الطعام (أي شحذ واستعطى)،)فخرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أصلِّي ركعتين صلاة الخيرة (أي الاستخارة). قال: فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع، وخصي من قبَل الوالي يدق الباب، ففتحوا.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل له: هو ذا، فأخرج صرّة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ فأعطاه خمسين دينارًا، وكذلك الروياني وابن خزيمة.

ثم قال: إن الأمير كان قائلاً ـ نائمًا في القائلة وهي نصف النهار ـ بالأمس فرأى في المنام أن المحامد جياع قد طووا كشحهم، فأنفذ إليكم هذه الصُّرر، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إليَّ أحدكم.

وهؤلاء كلهم اسمهم محمد، وهم أئمة زمانهم. فهذا ابن جرير صاحبنا، وأبو بكر محمد بن خزيمة صاحب الصحيح، والتوحيد، ومحمد بن نصر صاحب تعظيم قدر الصلاة، والمسند، وغيرهما، ومحمد بن هارون الرُّوياني صاحب المسند العالي سندًا ورتبة.

وفي الجملة: فإنه من المشهور على مر التاريخ أن أهل العلم فقراء مساكين، ومتقللين من الدنيا.

* * *

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثناء العلماء عليه

حظي الشيخ ابن جرير بثناء العلماء في القديم والحديث، وما نال ذلك إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى له، ثم جدّه وحرصه على العلم بما هيأ الله له بذاته من أسباب النبوغ والذكاء، وما تميز به من الإخلاص لله في الطلب، وبذل الأسباب الممكنة في التحصيل حتى فاق أقرانه، بل تميّز واشتهر على مشائخه، فكان رحمه الله من أفراد العلماء في الزمان، ولاتزال تلهج الألسنة بالثناء عليه، والدعاء له، والترحم والاستغفار، ومعرفة قدره في الفنون الشرعية، وإمامته فيها.

ومن أجمع ما قيل في الثناء عليه ما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد - إذ قال: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، كان أحد أئمة العلماء، يُحكم بقوله، و يُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره؛ فكان حافظاً للكتاب، عارفًا بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالماً بالسنة وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في أخبار الأمم وتاريخهم، وله كتاب «التفسير» لم

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يصنف مثله، وكتاب سماه «تهذيب الآثار» لم أر سواه في معناه لكنه لم يتمَّه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرّد بمسائل حُفظت عنه.

وأثنى عليه الحافظ الذهبي بعد كلام الخطيب المتقدم، فقال عنه: كان ثقة، صادقًا، حافظًا، رأسًا في التفسير، إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف، علَّامة في التاريخ وأيام الناس، عارفًا بالقراءات وباللغة، وغير ذلك.

ولشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ثناء كثير عليه لو جمع لكان في جزء لطيف، وما ذاك إلا لما عرفه من مؤلفاته وتراجمه السؤدد في العلم والحفظ والدين، فقد وصفه بأنه من العلماء الكبار، وعدّه في عداد أئمة الإسلام العظام: كمالك وأحمد والشافعي وأبي حنيفة والأوزاعي والليث بن سعد وأمثالهم في المنهاج (٧/ ١٣، ٢٨٦، ١٧٩).

وقال في المنهاج أيضًا (٦/ ٥٢ ـ ٥٣):

«. . . وهؤلاء أهل العلم الذين يبحثون الليل والنهار عن العلم وليس لهم غرض مع أحد؛ بل يرجّحون قول هذا الصاحب تارة، وقول هذا الصاحب تارة بحسب ما يرونه من أدلة الشرع كسعيد بن المسيب (وذكر طبقته) . . ، ومن بعدهم كابن شهاب الزهري (وذكر

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

طبقته) . . ، إلى سفيان الثوري، إلى وكيع أبي الجراح، ثم الشافعي وأحمد بن حنبل، ومحمد بن جرير الطبري وأبو بكر بن المنذر . . . »، فجعله في آخر العلماء المجتهدين المشهورين بذلك في القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على الناس من أمَّة النبي ﷺ .

وقال فيه ابن حجر الحافظ في «الميزان» كلمة أجملت فضائله وأنصفته من خصومه (٥/ ١٠٠):

« محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجليل المفسر أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة، مات سنة عشر وثلاثمائة، ثقة، صادق، فيه تشيّع يسير، وموالاة لا تضر . . ».

ولئلا أطيل بذكر ثنائه من أقوال العلماء ـ وهو كثير جداً ـ أختم بما قدّمه بترجمته الشيخ الفقيه عبد الله بن حُميد لكتابه «تهذيب الآثار» حيث قال:

« . . . فكان من أثر ذلك تأليف المؤلفات الضخمة العديدة التي حَوَت على تراث نبينا محمد ﷺ ، من هؤلاء الجهابذة الأفذاذ الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، فقد أجمع المسلمون على إمامته وجلالة قدره وسعة علمه، وألف في ذلك المؤلفات الكثيرة النافعة والتي أثنى عليها أئمة العلماء، و ذكروها ومؤلفها بما هو أهل . . والإمام ابن جرير أشهر من أن يُذكر وأعرف من أن يُنكر (ثم شرع في نبذة يسيرة مختصرة

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن حياته، ومما قال فيها) : . . . ما زال العلماء في زمانه وبعده يثنون عليه ويذكرون فضله وعلمه وزهده وتقاه، فقد كان رحمه الله عالمًا بتفسير القرآن، والحلال والحرام، وعالمًا بأخبار الناس وأيامهم، وهو من فضلاء الصالحين المتقين، شهد له أهل العلم بالفضل والتقى؛ فقد كان إمامًا في التفسير والحديث والجرح والتعديل، وعالمًا بالأحكام وأصولها، وله أقوال واختيارات جيدة انفرد بها»[1] .

وهذا في الحقيقة تطواف في التاريخ مما أثني به على الإمام ابن جرير، وما تُرك من الثناء لا يُقاس بما قيل هنا، من ثناء أقرانه كابن خزيمة وعموم تلاميذه، ومترجمو الشافعية يذكرونه في طبقاتهم كابن كثير وابن السبكي، والفرغاني عبد الله، وابن رجب الحنبلي وغيرهم كثير، وهو رحمه الله أهل لهذا، وليس بكثير عليه .

* * *

(١) مقدمة الشيخ ابن حميد تلك على اختصارها إلا أنها حافلة ومركزة عن الإمام ابن جرير وحياته العلمية . رحم الله الجميع .

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أشهر تلاميذه

مر علينا أنه سمع من أم من العلماء، وحاز على علو السند رواية وفقهًا، وقد عُمِّر نحوًا من ست وثمانين سنة، فلذا ولغيره حرص عليه طلاب كثيرون في الأخذ عنه علمه الذي حازه عن الأكابر من العلماء.

وكان من أشهر طلابه في التاريخ عند أهل العلم:

١ - أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني؛ وكان أكبر من ابن جرير.

روى عنه الحديث خاصة، وُلد رحمه الله سنة ٢٠٥ وتوفي سنة ٢٩٥، بقي من آثاره جزء من الفوائد في الحديث في ثماني ورقات بآخرها سماعات، موجودة بجامعة الرياض.

٢ - الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠)؛ صاحب المعاجم والسنن والتصانيف، والعالم بأحوال الرجال جرْحًا وتعْديلاً، أخذ عنه الحديث والتفسير خاصة.

٣ - الشيخ القاضي أبو بكر أحمد بن كامل (٣٥٠) قاضي الكوفة، صاحب التصانيف في الفقه كالشروط الكبير، وجامع الفقه، وفي القراءات، وغريب القرآن، والتاريخ. وعمل كتاباً في

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ترجمة شيخه ابن جرير، نقل منها ياقوت في معجمه، وكان على مذهب شيخه في الفقه.

٤ - الإمام أبو أحمد عبد الله بن عدي (٣٦٥)، صاحب الكتاب الحافل: «الكامل في ضعفاء الرجال»، و«علل الحديث»، وأسماء الصحابة، وأسامي من روى عنهم البخاري في صحيحه[١]، كتب معجمًا لشيوخه بلغوا أكثر من ألف شيخ، من أشهرهم الإمام ابن جرير.

٥ - القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني المعروف بابن طرار (٣٩٠)، كان من أشهر علماء وقته حفظًا وذكاءً، وأبرز تلاميذ ابن جرير في حفظ كتبه؛ حيث حفظ مذهبه، وشرح كتاب ابن جرير الخفيف في أحكام شرائع الإسلام، وغيرها.

له تفسير في ستة مجلدات اسمه «البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز»، وكان سمع من ابن جرير وهو صغير، وأعجب به وبمذهبه في الفقه.

وله غيرهم خلق كثير لا يشتهر بهم الإمام ابن جرير، إنما هم يشتهرون به، رحم الله الجميع.

---

(١) هذا الكتاب والذي قبله مخطوطان، الأول بإحدى مكتبات المدينة واستنبول، والثاني بظاهرية دمشق برقم ٣٨٩.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومما نقله مترجموه عنه: عنايته بالطلبة، فكان يعُودُ مريضَهم، ويُواسي فقيرهم، ويُكثر الإحسان إليهم حتى أحبُّوه لخلقه وأدبه وكريم نفسه مع علمه وحفظه. فمن ذلك: أنه ربما أجّل درسه لغياب أحد مقرئيه حتى يعود؛ لئلا يخصهم بشيء من دونه، هذا إذا رتب عليه جماعة القراءة في كتاب معين خلا مجالس الإملاء والتحديث.

وكان يشاور طلابه في نوع ما يُملي عليهم وكثرته، كما شاورهم في إملاء التفسير والتاريخ ورأى عجزهم عن تحمل التطويل فيهما، فأملى مختصرهما، وهما الموجودان المطبوعان الآن.

ومما نُقل عن معاملته لتلاميذه أن تلميذه القاضي ابن كامل وجد إهانة من بعض طلاب ابن جرير في مجلسه، فانقطع عن ذلك المجلس زمانًا حتى لقيه ابن جرير واعتذر منه، كأن الإهانة جاءت منه هو حتى أرضاه وأعاده لمجلسه.

وهذا وأمثاله أسلوب واقعي يوجب ارتباط التلميذ بشيخه ومحبته له وتعظيمه إياه؛ بل و إقباله على الأخذ عنه، والحرص على العلم الذي لأجله عظم في نفس شيخه، والشيخ في نفس تلميذه.

وقد عُني طلابه بتاريخ حياته وجمْع نوادره وترجمته. فممن ألف في ذلك: تلميذه القاضي أبو بكر أحمد بن كامل (٣٥٠)، وأبو محمد ابن عبد العزيز بن محمد الطبري، وأبو إسحاق بن إبراهيم بن حبيب

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطبري، وأبو الحسن أحمد بن يحيى بن علم الدين المتكلم، ولا أدري أهو كتاب «المدخل إلى مذهب الطبري ونصرته» أو كتاب آخر مستقل، وأبو محمد الفرغاني، ونقل جملاً منها الذهبي في ترجمته في السيَر. كل هؤلاء نقل عن كتبهم ياقوت في ترجمته المطولة للإمام ابن جرير في معجم الأدباء، ومنهم القفطي صاحب «إنباه الرواة» ألف كتابًا مستقلاً سمَّاه «التحرير في أخبار محمد بن جرير» وَصَفَه فيه بأنه: كتاب ممتع.

وكان أبو جعفر يحبُّ الرائحة الطيبة، فكان في الصيف - وهو فصل انبعاث روائح الجسم من الحرارة والأنفاس - يُكثر من الرياحين بأنواعها والأطياب.

وكان برنامجه اليومي المعهود في درسه وتعليمه كما وصفوه: أنه كان إذا أكل طعامه في الصباح نام في ثياب تشبه الكتان، في قميص قصير الأكمام مصبوغ بالصندل وماء الورد، ثم يقوم يتوضأ لصلاته، فيصلي الظهر، ثم يجلس يكتب ويؤلف إلى صلاة العصر، ثم يصليها ويجلس للطلاب يُملي عليهم أو يقرءون عليه، ويشرح لهم حتى المغرب، ثم بعد صلاة المغرب يجلس لدرس الفقه إلى صلاة العشاء، ثم يقوم إلى داره. ويُقسِّم ليلته بين حزبه ونومه وحاجته.

ولهذا أكثر التصنيف، حتى حُرز ما يكتبه كل يوم - بالمتوسط - بأربعين ورقة أو نحوها، فلله درّ العالم الرباني.

* * *

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خَلْقُه وذكَاؤه وحفْظُه

إن الصفات الخَلْقيَّة في الواقع لا يتوجه بها أو منها إلى مدح المخلوق والثناء عليه بها إلا إظهارًا لمدح خالقه ومُوجده، الذي خلَقَه على هذه الصورة، وأبدعه عليها، وهو وغيره من صنع الله الذي أتقن كل شيء.

ويُذكر - بالمناسبة - أن الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني (٢٤٠) صاحب «الحيدة والاعتذار» في مناظرة المريسي والمعتزلة بحضرة المأمون، وكان دميم الخَلْق والصورة، فلما حضر مجلس المأمون لعقد المناظرة أول مرة سخر من خلقه جلساؤه من أهل الاعتزال، وهو ساكت ثم باسطه المأمون وطلب منه مناظرة خصومه، فقال قبل البدء بمقصود حضوره، لما قال فيه واصفه: يا أمير المؤمنين، يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، لا والله ما رأيتُ خلَق الله قط أقبح منه وجهًا!

ثم ذكر أن المأمون نظر إلى جص قد انتفخ في إيوانه، فقال لأحد جلسائه: أما ترى هذا الذي انتفخ من هذا النقش، وإنه سيقع فبادر إليه، فقال له صاحبه: قطع الله يد صانعه، فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا.

فقال الكناني: يا أمير المؤمنين، قد سمعت بعض من هنا يقول

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لك: يكفيك من كلامه من قبح وجهه، فما يضرني قبح وجهي مع ما رزقني الله عز وجل من فهم كتابه، والعلم بسنَّة نبيه ﷺ! فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاءك، فقد رأيتُك تنظر هذا النقش وانتفاخ الجص وتذكره، وسمعت فلانًا يعيب ذلك، ويدعو على صانعه، ولا يعيب الجص ولا يدعو عليه؟!

فقال المأمون: العيب لا يقع على الشيء المصنوع، وإنما يقع على الصانع! قلت: صدقت يا أمير المؤمنين، ولكن هذا يعيب ربي لم خلقني قبيحًا، فازداد تبسم المأمون حتى ظهرت ثناياه[1].

ولم أقصد من هذه العبرة سوى التأكيد على أنه لا علاقة بين فضل العالم أو نقصه وصفته الخلقية، وما تعرضت لوصف ـ ما ذكره المترجمون على قلته ـ من خلق ابن جرير إلا ليتصور في الذهن لا لمدحه به.

فمن ذلك أنهم وصفوه بأنه طويل القامة، نحيف البدن، لونه أسمر، كان واسع العينين كبيرهما، كثير اللحية، إلا أن السواد عليها هو الغالب، ومات ولم يمتلىء رأسه شيبًا، وقد كف بصره في آخر حياته، بل قبل موته بمدة، وبعد موت شيخه داود الظاهري سنة (٢٧٠هـ).

---

(١) هذا الخبر مطولاً في مقدمة الحيدة والاعتذار للكناني (ص/ ٢٧ ـ ٣١).

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان ابن جرير له ذوق في أكله وطعامه، فكان لا يحب التمر ولا العسل[١]، كما كان طبيباً يُطبب نفسه لا غيره، فيجعل لنفسه الأدوية المتنوعة.

فقد اتفق أنه مرض مرة فأرسل إليه الوزير علي بن عيسى طبيباً، فسأله عن حاله فعرّفه ابن جرير بما يشكو منه وأخبره بما تعاطاه من الأدوية والطعام، ومايعتزم عليه مستقبلاً فقال له الطبيب: ليس عندي شيء فوق ما وصفته لنفسك، والله لو كنت في ملتنا لعددت من الحواريين ـ لعله يقصد ملة الأطباء، أو هو نصراني ـ ثم عاد الطبيب إلى الوزير فقصّ عليه أمر الطبري فأعجبه. وكان أبو جعفر مريضًا بذات الجنب، فكان يعتاده ويتردد عليه وجعه.

ومما ظهر على ابن جرير ذكاؤه المفرط، وهو نعمة من الله على عبده، وفّقه الله إلى استغلالها في نفعه الدنيوي والأخروي بتسخيرها في خدمة دينه بالعلم والتعليم.

والذكاء لاشك أنّه من أهم مقومات وأسباب التحصيل التام

---

(١) هذان وإن كان ابن جرير لا يحبهما إلا أن فضلهما على الطعام معلوم في الشرع والحس والتجربة، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة مرفوعًا: «**بيت لا تمر فيه جياع أهله**، مرتين»، وفي الصحيحين قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن يكن الشفاء ففي ثلاث: لعقة عسل، وشرطة حجام، وكيّة نار**»، ولكن النفس ربما تكره محبوبًا؛ لأنها تعافه خلقًا أو طعماً، وربما ضرها ولم ينفعها.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

للعلم، كما قال الشافعي رحمه الله:

أخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيانِ

ذكاءٌ، وحرصٌ، واجتهادٌ، وبلغةٌ ... وصحبةُ أستاذٍ، وطولُ زمانِ

وابن جرير - رحمه الله - وفّق لهذه الأسباب الستة كلها.

ويربط كثير من الباحثين بين الذكاء والحفظ على أن الحفظ لازم للذكاء، وهذا صحيح في الجملة، لكنه لا يلزم من الذكاء الحفظ، ولا من الحفظ الذكاء؛ إذ يوجد حفّاظ لكنهم بضد ذلك في الذكاء، وربما يكون ذكياً لكنه في الحفظ بليداً. لكنه في الغالب الأعم أن الذكيَّ إذا وظّف ذكاءه في حفظه وما ينفعه فإنه ينتفع به.

والإمام ابن جرير ممن تكاملت عنده هاتان الصفتان ومثله ممن بعده شيخ الإسلام ابن تيمية.

ومن شواهد هذا أنه رحمه الله حفظ القرآن وعمره سبع سنين، وأمّ الناس وعمره ثمان، وكتب الحديث وعمره تسع. وهذا في العرف العام يُعدّ طفلاً صغيراً، وهو في زمننا هذا لا يخرج من بيته.

ومن قوة حفظه أيضًا قصته وأقرانه مع شيخهم الحافظ أبي كريب الهمداني الكوفي حيث اختبرهم في حفظ ما ألقاه عليهم ولم يجد فيهم من يحفظه إلا الحافظ ابن جرير؛ فكان أن قرَّبه وأدخله داره من بينهم،

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان عمره آنذاك في حدود العشرين سنة.

كذا لما دخل ابن جرير مصر ولقي الشيخ أبا الحسن علي بن سراج المصري لم يجد ابن سراج في مصر من يحفظ شعر الطرماح بن الحكيم (١٣٥هـ) سواه فأملاه الطبري عليه وفسّر غريبه.

وهو رحمه الله لم يدخل مصر ويلقى ابن السراج إلا بعد سنة ٢٥٦هـ، وكان عمره حينئذ ثنتين وثلاثين سنة.

وذكر عن نفسه أنه طلب من صديقه العروض للخليل بن أحمد الفراهيدي ـ الإمام المشهور بالعربية وفنونها ـ قال: فجاء به، فنظرت فيه ليلتي فأمسيتُ غير عروضي وأصبحت عروضيًا، وذلك لَمَّا دخل مصر ومساءلة العلماء كل في فنه الذي يُجيده، فكان يُجيبهم كلهم حتى جاءه رجل فسأله عن العروض فواعده غداً ثم أتقنه في ليلة.

وفي هذا يقول تلميذه عبد العزيز بن محمد الطبري ـ في كتابه الذي جمع فيه أخبار شيخه ونقل منه ياقوت في معجمه ـ: كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه؛ لأنه جمع من علوم الإسلام ما لا نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة، ولا ظهر من كتب المصنفين وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له.

ومن شواهد فطنته وذكائه ـ مع ما تقدم ـ ما روي بالإسناد أن رجلاً

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تزوج جارية، فأحبها وأبغضته حتى ضجرت منه[١] ! فقال لها: لا تخاطبيني بشيء إلا قلت لك مثله، فكم أحتملك؟ فقالت المرأة في الحال: أنت طالق ثلاثاً. قال: فأبلست! فدللت على محمد بن جرير، فقال لي: أقم معها بعد أن تقول لها: أنت طالق ثلاثًا إن طلقتك. فاستحسن هذا الجواب.

والمقصود من هذا توضيح نماذج من نباهة ابن جرير، وأمثالها مبثوثة في مطولات تراجمه.

* * *

(١) ذكر الشيخ صالح العثمان القاضي في فوائده ص٥١، أنه أحبها حبًا شديدًا، وأبغضته بغضًا شديدًا، وكانت تواجهه بالشتم والدعاء.
ونقل في الجواب عن الحال قولاً لابن القيم من بدائعه؛ وصفه بأنه أحسن من الوجوه المذكورة، وهو جارٍ على أصول المذهب، وهو تخصيص اللفظ العام بالنية، أي نية المطلق. وراجعه فيه.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عقـــيدته

الإمام محمد بن جرير الطبري من كبار أئمة أهل السنة والجماعة المتبعين منهج وعقيدة السلف الصالح في أنواع توحيد الله سبحانه وبقية أصول الإيمان وما يتبعه من مسائله والصحابة والإمامة.

فهو في الكل على مذهب أهل الحديث، مذهب الطائفة الناجية والفرقة المنصورة، لم يعرف عنه غير هذا، وتفسيره مليء بكل ما ذكرت؛ بل هو مصدر تفسير أهل السنة والجماعة.

وقد لقي ابن جرير بعض التهم في مسألة أو مسألتين يأتي الكلام عليها، وقد اشتهرت عقيدته التي كتبها في مقامه الأخير في بغداد - وهي من آخر ما كتبه - وقد تلقاها العلماء والأئمة بعده بالقبول والاستحسان[1]، وتسمى هذه العقيدة «صريح السنة» أو «شرح السنة» أو «عقيدة ابن جرير»، ويأتي الكلام عليها في آثاره ومؤلفاته.

وقد أشار إليها الشيخ ابن تيمية في قاعدة الاسم والمسمّى من

---

(١) من هؤلاء اللالكائي في شرح أصول السنة، و قوام السنة في الحجة في بيان المحجة، وابن تيمية في الحموية الكبرى، وأبو يعلى في إبطال التأويلات، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية، والذهبي في العلو للعلي الغفار، وغيرهم ممن لم يحضرني ذكرهم.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٧) فقال:

«.. وكما ذكره أبو جعفر الطبري في الجزء الذي سمَّاه «صريح السنة»؛ ذكر مذهب أهل السنة المشهور في القرآن والرؤية والإيمان والقدر والصحابة وغير ذلك...».

ومجمل عقيدته رواها اللالكائي في شرح «أصول السنَّة» (٢/ ١٨٣) قال: «أخبرنا عبيد الله بن محمد بن أحمد - قراءة عليه - قال: أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل قال: قال أبو جعفر محمد ابن جرير:

فأول ما نبدأ فيه القول من ذلك كلام الله عز وجل وتنزيله، إذ كان من معاني توحيده؛ فالصواب من القول في ذلك عندنا: أنه كلام الله عز وجل غير مخلوق، كيف كُتب، وكيف تُلي، وفي أيِّ موضع قُرِئ، في السماء وُجد أو في الأرض، حيث حُفظ في اللوح المحفوظ كان مكتوباً، أو في ألواح صبيان الكتاتيب مرسوماً، في حجر نقش، أو في ورق خط، في القلب حُفظ أو باللسان لُفظ.

فمن قال غير ذلك، أو ادعى أن قرآناً في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلو بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد غير ذلك بقلبه، أو أضمر في نفسه، أو قال بلسانه وأنيابه، فهو بالله كافر حلال الدم، بريء من الله والله بريء منه لقول الله جل ثناؤه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE
http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ ، وقال وقوله الحق: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾. فأخبرنا جل ثناؤه، أنه في اللوح المحفوظ مكتوب، وأنه من لسان محمد ﷺ مسموع، وهو قرآن واحد من محمد مسموع، وفي اللوح المحفوظ مكتوب، وكذلك في الصدور محفوظ، وبألسن الشيوخ والشبان متْلو.

فمن روى عنا، أو حكى عنا، أو تقوَّل علينا، أو ادَّعى علينا أنا قلنا غير ذلك، فعليه لعنة الله وغضبه، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، لا يقْبَلُ الله منه صَرْفًا ولا عَدْلاً، وهَتَكَ سترَه، وفضَحَه على رؤوس الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معْذرَتُهم، ولهم اللعنة، ولهم سوء الدَّار.

وأما الصواب من القول لدينا في رؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيامة وهو ديننا الذي ندين لله به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة ـ فهو أن أهل الجنة يرونه على ما صحَّت به الأخبار عن رسول الله ﷺ.

والصواب لدينا في القول فيما اختلف فيه من أفعال العباد، وحسناتهم وسيئاتهم، أن جميع ذلك من عند الله، والله مقدره ومدبره، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يحدث شيء إلا بمشيئته، له الخَلقُ والأمر.

والصواب لدينا من القول: إن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص،

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبه الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل.

والقول في ألفاظ العباد بالقرآن: فلا أثر فيه أعلمه عن صَحابيّ مضى ولا من تابعيّ قضى، إلا عمّن في قوله الشفاء والغنا، رحمة الله عليه ورضوانه، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فإن أبا إسماعيل الترمذي[1] حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: اللفظيّة جهميّة لقول الله عز وجل: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ممن يسمع؟!

وأما القول في الاسم أهو المسمى (أو) غير المسمى، فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيُتبع، ولا قول عن إمام فيُستمَع، والخوض فيه شين، والصمت عنه زين، وحسب امرىء من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قول الصادق عز وجل، وهو قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، ويعلم أن ربه هو الذي ﴿على

(١) هو الإمام الثقة الحافظ محمد بن إسماعيل بن يوسف السلمي الترمذي (١٩٠ ـ ٢٨٠) هـ وهو غير الإمام أبي عيسى الترمذي صاحب السنن. روى عنه أهل السنن وغيرهم. ومدحه الأئمة ووثقوه حتى قال الذهبي: انبرم الحال على توثيقه وإمامته. انظر التهذيب ٩/ ٦٢ وتهذيب الكمال ١١٧٤ وطبقات الحنابلة ١/ ٢٧٩ والسير ١٣/ ٢٤٢ وتاريخ بغداد ٢/ ٤٢ وغيرها.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُ مَا فِي السَّمَـوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر.

فليُبلِّغ الشاهد منكم أيها الناس من بعد منا فنأى أو قرب فدنا:

إن الدين الذي ندين به في الأشياء التي ذكرناها ما بيّناه لكم على ما وضعناه، فمن روى خلاف ذلك أو أضاف إلينا سواه أو نحلنا في ذلك قولاً غيره فهو كاذب (مفتر) معتد متخرِّص يبوء بإثم الله وسخطه، وعليه غضب الله ولعنته في الدارين، وحقّ عليه أن يورده المورد الذي وعد رسول الله ﷺ ضرباءه، وأن يُحلَّه المحل الذي أخبر نبي الله ﷺ أن الله يُحلَّه أمثاله[1].

* * *

(١) هذه قطعة من عقيدته رواها عنه اللالكائي بالإسناد الصحيح، وبقيتها مطبوعة في صريح السنة، مبثوثة في مواطنها من تفسيره الزاخر بمثل هذا وأكثر منه جدًا: «جامع البيان».

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مذهبه الفقهي

درس الإمام ابن جرير الفقه ـ وهو علم فروع الشرع وتفاصيل الأحكام ـ على أئمة المذاهب في زمنه، حيث تلقاه عن أصحاب الإمام الشافعي في بغداد ومصر كالحسن بن محمد الزعفراني، وأبي سعيد الإصطخري في بغداد، والربيع بن سليمان الأزدي، وإسماعيل بن يحيى المزني.

ولذا أظهر رحمه الله في أول حياته التمذهب بالمذهب الشافعي مدة من الزمن، مع دراسته للمذهب المالكي في مصر على أبناء عبد الله بن عبد الحكم تلاميذ ابن وهب صاحب مالك. وتلقَّى فقه الظاهرية على يد مؤسس المذهب الظاهري: داود بن علي الأصبهاني ببغداد، وقبل ذلك تلقَّى مبادىء الفقه الحنفي على أبي مقاتل بالري[1].

---

(١) ومما يتبادر هنا إلى الذهن: لما لم يدرس ابن جرير المذهب الحنبلي؟ وجوابه: أن ابن جرير كان معاصراً لأحمد بن حنبل ولم يدركه مشاهدة، بل أدرك أبناءه وتلاميذه، ولم يكن حينئذ المذهب الحنبلي الفقهي قد قعد ودوّن ـ كما عليه فيما بعد القرن الرابع ـ بل كان مذهب أحمد المشهور عند تلاميذه هو مذهب كبار المحدثين الاستنباطي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن ابن جرير كان يميل إلى أن الإمام أحمد كان مُحدِّثًا ولم يكن فقيهًا، فأهمل ذكر مذهبه في «اختلاف الفقهاء»، مع ذكر مذاهب المجتهدين كأبي حنيفة ومالك والشافعي والأوزاعي والليث بن سعد مما أشغب به عليه من جهته.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكنه ـ رحمه الله ـ مع ما أوتي من استعداد وتحصيل وبلوغ في العلم، لم يستمر طويلاً في اتباع مذهب الشافعي بل ذهب إلى الاجتهاد، فكان من الأئمة المجتهدين اجتهاداً مطلقًا، ولم يلتزم مذهبًا معينًا.

قال الفرغاني أبو محمد: حدثني هارون بن عبد العزيز، قال لي أبو جعفر الطبري: أظهرت مذهب الشافعي، واقتديت به ببغداد عشر سنين، وتلقاه مني ابن بشَّار الأحول أستاذ ابن سُرَيْج. قال هارون: فلما اتسع علمه أدَّاه اجتهاده ومحبته إلى ما اختاره في كتبه، وكان مذهبه هذا المختار لديه عند تلميذه ابن طرار المعافى بن زكريا بعد ابن جرير.

ولذا نلاحظ وجود ترجمة ابن جرير في طبقات الشافعية؛ لأنه كان في مبتدئه على مذهب الإمام الشافعي، ثم انتقل منه إلى الاجتهاد المطلق ـ على اصطلاح الأصوليين ـ بعد اتساع العلم والتجرد لمدلول النصوص فلم يُقَلِّد أحدًا.

وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يعدّه في عداد المجتهدين الكبار من أئمة المسلمين.

* * *

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبادته وتدينه

إن الميزة الواضحة للعلماء في كل عصر هي التدين، بالتمسك بما علموه من أحكام الشريعة وسلوكها ظاهرًا وباطنًا. ومن هؤلاء: الإمام ابن جرير الطبري ـ مع ملاحظة النسبة والتناسب بين تدينه وحال عموم أهل عصره، وهم أحسن تدينًا ممن بعدهم ـ فداوم على التمسك والعبادة حتى في الأوقات الحرجة في المرض، أو الكبر وبلوغ الأجل.

ويروي أبو بكر الدِّينوري صاحبه: إنه في يوم الاثنين الذي توفي فيه ابن جرير طلب ماء ليتوضأ أو ليُجدد وضوءه، فقيل له: تؤخر صلاة الظهر ـ التي كان يستعدّ لها ـ وتجمع بينها وبين العصر؛ لأن الله سبحانه رخَّص الجمع بين الصلاتين للمريض وأهل الأعذار في حديث ابن عباس وأبي هريرة وغيرهما، لكنه رحمه الله أبَى، وصلَّى الظهر مفردة، والعصر في وقتها، صلاهما أتمَّ صلاة وأحسنها ثم توفي في آخر اليوم.

وابن جرير من العلماء العزَّاب فلم يتزوج ولم يتسرَّ، وكان من عَفافه أنه قال: ما حللت سراويلي في حرام ولا حلال قطّ.

وكان رحمه الله يؤُمّ الناس في رمضان، وله صَوت شجيّ مجود حَسَن، كان يسعى إلى سماع قراءته العلماء، قال أبو علي الطوماري:

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كنت أحمل إلى بغداد في شهر رمضان بين يدي أبي بكر بن مجاهد[١] إلى المسجد لصلاة التراويح، فخرج ليلة من ليالي العشر الأواخر من داره، واجتاز على مسجده فلم يدخله وأنا معه، وسار حتى انتهى إلى آخر سوق العطش فوقف على باب مسجد محمد بن جرير، وابن جرير يقرأ سورة الرحمن، فاستمع قراءته طويلاً ثم انصرف، فقلت له: يا أستاذ، تركت الناس ينتظرونك؛ وجئت تسمع قراءة هذا؟! فقال: يا أبا علي دع هذا عنك، ما ظننتُ أن الله خلق بشراً يُحسن أن يقرأ هذه القراءة، أو كما قال.

فهذا شيخ المقرئين في زمنه ببغداد يُثني على قراءة ابن جرير هذا الثناء، ولعمري فإن القراءة إن صدرت من قلب خاشع خاضع منيب كان لها وقع في النفوس وأثر عليها، والواقع يشهد لهذا.

ومما يدل على عبادته ما ذكَرَه مترجموه مما أودعه في كتابه «أدب النفوس الشريفة» من معالم وآثار التدين في التوكل والورع والإخلاص والتواضع ومراعاة النفوس وأحوالها.

وهو مع ما كان فيه من الاشتغال بالتدريس والتأليف والتصنيف

---

(١) هو الإمام المقرىء المحدث النحويّ، بل شيخ المقرئين أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (٢٤٥ ـ ٣٢٤)، مُؤلِّف كتاب «السبعة في القراءات». انظر: السير (١٥/ ٢٧٢)، وتاريخ بغداد (٥/ ١٤٤)، ومعرفة القراء (١/ ٢١٦)، ومعجم الأدباء (٥/ ٦٥)، وغاية النهاية (٩/ ١٣٩).

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والإملاء والإقراء. . . كان مع كل هذا لا يدع حزبه من القرآن، بل ذُكر أنه يقرأ كل ليلة ربع القرآن فيختم في أربع ليال.

وهذا لاشك أنه من توفيق الله له ومباركته لوقته وعمره، و إلا فما الوقت الذي يَسع بعض هذا فضلاً عن كله؟!

وإذا نظرتَ إلى التقيِّ وجدتَهُ رجلاً يُصدّقُ قولَهُ بِفعالِ

وإذا تناسبت الرجالُ فلم أرى نسبًا يُقاس بصالح الأعمال

* * *

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جرأته في إظهار الحقِّ

إنه لما عاش الإمام الطبري في زمن الفتن، وانتشار أهل الأهواء والبدع من الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج.. لم يُبال بهم، فصدع مُبيّناً الحق، مُتقصداً للرد عليهم ومناظرتهم في كتبه، فالتفسير مليء بالمحاجّة لهم، والمخاصمة بطرقهم العقلية، ومسائلهم الكلامية.

وكتابه هذا «التبصير في معالم الدين»[1] تدور قضاياه الأصلية على الرد على المعتزلة خصوصًا، و بقية المبتدعة ضمنًا، وكذا تفسيره الحافل النفيس مليء بالنقض على أهل البدع، وهدم أصولهم وفصولهم.

وبالجملة فقد كان رحمه الله قويًا في الحق، لا تأخذه في الله لوْمَة لائم، والشيء من معدنه لا يُستغرب، فإذا لم يكن العلماء ـ الذين امتلأت قلوبهم نوراً ومعرفة بالله وصفاته وحقوقه، ومآلهم وما عند ربهم ـ يصدعون بالحق ويمثلون ما علموا؛ فمن يكون كذلك؟!

فقد وصفه الذهبي: بأنه كان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم مع

---

(١) طبع هذا الكتاب أخيراً في مجيليد بتحقيقي عن نسخة وحيدة، أصلها بمكتبة دير الاسكوريال بالأندلس، واسمه المعنون به على الخطية: «تبصير أولي النهى ومعالم الهدى».

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل، وحاسد، وملحد، فأهل الدين والعلم فغير مُنكرين علمه وزهده في الدنيا، ورفضه لها وقناعته ـ رحمه الله ـ بما كان يَرِدُ عليه من ضيعة خلّفها له أبوه بطبرستان يسيرة.

وفي جرأته وعدم مبالاته بابن الكبير والأمير في مجلس العلم ما رواه ابن عساكر بسنده عن تلميذه عثمان الدينوري قال: حضرت مجلس محمد بن جرير وحضر الفضل بن جعفر بن الفرات وهو ابن الوزير، وكان قد سبقه رجل، فقال الطبري للرجل: ألا تقرأ ـ يعني الدرس ـ فأشار الرجل إلى ابن الوزير ـ تقديمًا له على نفسه بالقراءة، و إن كان الطالب سبقه في الحضور، فقال له الطبري: إذا كانت النوبة لك فلا تكترث بدجلة ولا الفرات.

قال الدينوري: وهذه من لطائفه وبلاغته وعدم التفاته لأبناء الدنيا؛ حيث شبه ابن الوزير بالنهر الكبير.

كما كان سريعًا في إنكار المنكر، والتغليظ على صاحبه إن كان من أهل الأهواء، خصوصًا إذا كان المنكر في العقيدة. فقد قال محمد بن علي بن سهل صاحب الطبري: سمعت محمد بن جرير وهو يكلم ابن صالح الأعلم، وجرى ذكر عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ ثم قال ابن جرير: من قال إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى، أيش هو؟ قال ابن صالح:

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مبتدع، فقال ابن جرير إنكاراً عليه: مبتدع.. مبتدع؟!.. هذا يُقْتَل!

وهي إشارة إلى قول الرافضة ـ عليهم خزي الله ـ في الشيخين وزيري رسول الله ﷺ، بمناسبة ذكر الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهذا مروي بالإسناد عن الطبري، وهو قدح في الدعوة المزعومة ضده بأنه يميل إلى الشيعة!

والمقصود من هذا أنه ـ رحمه الله ـ كان قوياً في الحق، جريئاً في إحقاقه و إثباته، وإن خالف الناس.

وفي حديث عائشة بنت الصديق ـ رضي الله عنهما ـ في الصحيح في الكتاب الذي بعثته إلى معاوية، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«من ابتغى رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن ابتغى رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»**.

وفي حديث سهل بن سعد مرفوعًا أن النبي عليه السلام قال للرجل الذي ابتغى عملاً يحبه به الله والناس: **«ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»** حديث حسن خرجه النووي في الأربعين.

* * *

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زهده وورعه

الزهد والورع اختلفت عبارات العلماء في الفرق بينهما، وبيان حدهما، إلا أنه بينهما اشتراك. والورع أخص من الزهد؛ بل يتضمنه.

فالزهد: ترك شهوات الدنيا إيثاراً لنعيم الآخرة. والزاهد: هو الذي ترك ملذات الدنيا بعد أن قدر عليها.

أما حدّ الورع فهو عزيز جدًا حتى سئل الإمام أحمد: هل للورع حدٌّ يُعرف؟ فتبسَّم رحمه الله وقال: لا أعرفه.

وقال تلميذه أبو بكر أحمد المروزي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وذكر أخلاق الورعين فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟! يقول هذا الإمام أحمد؛ فأين نحن منه؟ ومما يقوله عن نفسه؟ الله المستعان!

والإمام ابن جرير لا ينزل عن مرتبة أولئك العلماء في هذا، فقد كان عفيفًا زاهدًا ورعًا تاركًا أهل الولايات، كارهًا التزلف للسلاطين والأمراء وقبول هداياهم ومنائحهم، قنوعًا بما يرد عليه من المزرعة التي تركها له أبوه بطبرستان، ولذا كثيرًا ما يقرأ، ويقال إنه من شعره:

إذا أعسرتُ لم يعلم شقيقي وأستغني فيستغني صديقي

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حيائي حافظٌ لي ماء وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقي

ولو أني سمحت ببذل وجهي لكنت إلى الغنى سهل الطريق

هذه نظرته ـ رحمه الله ـ للدنيا، ومضى على هذه النظرة في كل حياته، حتى إنه ربما أبطأت عنه نفقته فيضطر إلى فتق قميصه وبيعه.

وسبقت قصته مع محمد المروزي وابن خزيمة والروياني لما اجتمعوا في الطلب بمصر، وضاقت عليهم النفقة جدًا، حتى طووا أيامًا لا يجدون ما يأكلون، فكانت كرامتهم نفقة الأمير عليهم وهم لم يسألوه، بل رأى منامًا بحال المحامد الأربعة هؤلاء.

ومن شواهد زهده أن الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥) قال لوزيره الحسن بن عباس: أريد أن أوقف وقفًا تجتمع أقاويل العلماء على صحته و يسلم من الخلاف، قيل له: لا يقدر على ذلك إلا ابن جرير. فأحضر ابن جرير، فأملى عليهم كتابًا لذلك.

فلمّا تمَّ ذلك الكتاب، أعطي جائزة سنية «ثمينة» فأبى رحمه الله قبولها فأعزم عليه، أنه لابد من قبول الجائزة أو تُقْضى لك حاجة. فقال: نعم، الحاجة. أسأل أمير المؤمنين أن يتقدم إلى الشُّرط أن يمنعوا السُّؤَّال من دخول المقصورة يوم الجمعة للاستعطار، فعظم رحمه الله في نفوس الخليفة وأمرائه، وتقدَّم بذلك عندهم.

فانظر إليه لم يتحر شيئًا لنفسه، وإنما منع المسألة في المسجد يوم

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجمعة، فهي مصلحة عامة.

ومن نماذج زهده ما رواه الفرغاني في ذيله على تاريخ الطبري: أن ابن جرير لما دخل بغداد في أول أمره في الطلب، سُرقت بضاعته التي يَتقوَّت منها فباع كمَّي قميصه.

فقال له بعض إخوانه: تنشط لتأديب ولد الوزير أبي الحسن يحيى ابن خاقان؟ قال أبو جعفر: نعم، فمضى ذلك الصديق وسهل هذا الأمر، وأعار ابن جرير ثوبًا، فقرّبه الوزير ابن خاقان ورفع مجلسه وأجرى عليه عشرة دنانير في الشهر للتأديب.

فقبل أبو جعفر مشترطًا رخصة له في وقت طلبه العلم وللصلاة وللراحة، وسأله أن يسلفه رزق شهر ففعل الوزير.

فلما دخل حجرة التأديب، وخرج إليه ابن الوزير وهو المشهور بعدئذ بأبي يحيى أخذ يعلمه حتى كتب على اللوح، فأخذه خادمه فرحًا وأدخله على أهله وخدمه لتعلمه الكتابة، فلم تبق جارية في القصر إلا أهدت لابن جرير صينية فيها دراهم ودنانير، لكنه ـ رحمه الله ـ ردّ الجميع، وقال: قد شورطت على شيء، فلا آخذ سواه. فعلم بذا الوزير فأدخله عليه واعتذر منه، وعظم في نفسه.

أقول هذا دلالة على عدم مبالاته بهذا الحطام و إن كثُر، ولو أخذه لم يلحقه حرج؛ لأنه ليس مقابل تعليمه بل هدية له زيادة على راتبه

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي رتبه مع الوزير واتفق معه عليه، ولكنه شأن الزهد وفراغ القلب من الدنيا.

وثالثة أختم بها الكلام عن زهده: أن الوزير العباس بن الحسين أرسل إلى ابن جرير قائلاً: أحببت أن أنظر في الفقه، وطلب من ابن جرير أن يعمل له مختصراً فيه. فكتب ابن جرير كتابه «اللطيف من الخفيف في أحكام شرائع الإسلام» وهو مختصر عن كتابه الكبير «لطيف القول»، فلمّا تمّ المختصر أرسله للوزير فأعجبه وأرسل إليه بألف دينار هدية، لكنه ـ رحمه الله ـ لم يقبلها، ولما طلب منه أن يأخذها ويتصدّق بها على من يرى، قال: لا، هم أعرف بمن يستحق عطاياهم، أو هم يرون أهلها. وهذه شبيهة بما سبقها من طلب الخليفة المكتفي، ويظهر أنها واقعة ثانية لاختلاف السياقين، وربما تكون قصة واحدة لوحدة الموضوع والهدف.

أما ورعه ـ رحمه الله ـ فشيء ليس بمستغرب على أمثاله، لكنه عزيز في منواله، وأكثر ما يعتري العلماء مما يبين ورعهم عزوفهم عن تولي القضاء، وهو ما وقع لشيخنا أبي جعفر الطبري.

وذلك أن الوزير يحيى بن خاقان ـ في عهد المتوكل وبعده ـ لما تقدم في وزارته بعث لأبي جعفر بمال كثير فأبى رحمه الله أن يقبله، ثم عرض عليه القضاء فامتنع منه ابن جرير، ولكن أصحابه ومحبيه عاتبوه على

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

امتناعه، وقالوا له: لك في هذا ثواب، وتُحيي سُنَّة قد اندرست، وطمعوا أن يقبل ولاية المظالم، لكنه ـ رحمه الله ـ انتهرهم وقال: قد كنت أظن أني لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنه، فاستحيوا من جوابه.

ومن ورعه إباؤه عن أخذ ما دفعته له الجواري لما أدَّب ابن الوزير وعلمه الكتابة؛ حيث أساء إليهن عدم أخذه لهداياهنّ فبلغت الإساءة الوزير فقال له: يا أبا جعفر، سررت أمهات الأولاد في ولدهنّ فبررنك، فغممتهن بردِّك الهديّة، فأجابه ابن جرير: لا أريد غير ما وافقتني عليه.

كانت هذه القصة وأبو جعفر شابًا لم يصل الثلاثين من عمره، والدنيا حينئذ زهرة في حال مثله.

وقد وصفه تلميذه عبد العزيز بن محمد الطبري: بكونه شديد التوقي والحذر مما ينافي تدينه وورعه، خصوصًا مما يدخل عليه من زهرة الدنيا، وأنه كان على قسط عظيم من النزاهة والبعد عن المشتبهات، واقتصاره الشديد على ما يصله من إرثه بطبرستان، حتى أنه لمّا دخل مصر وعظم شأنه عند العلماء هناك، ونزل جوار شيخه الربيع بن سليمان الشافعي بأمره له، جاءه أصحاب الربيع فقالوا له: تحتاج إلى قصرية، وزير، وحمارين، وسدة (وهي السرير).

فأجابهم ابن جرير: أما القصرية فأنا لا ولد لي، وما حللت

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سراويلي على حرام ولا حلال قط.

وأما الزير فمن الملاهي، وليس هذا من شأني.

وأما الحماران فإن أبي وهَبَ لي بضاعة، وأنا أستعين بها في طلب العلم، فإن صرفتها في ثمن الحمارين، فبأيِّ شيء أطلب العلم؟!

فتبسَّموا. فقلت: إلى كم يحتاج هذا؟ فقالوا: إلى درهمين وثلثين، فأخذوا ذلك مني، ثم علمت أنها أشياء متفقة.

وجاءوني بإجَّانة وحبّ للماء (وهما إناء لغسل الثياب، وزير) وأربع خشبات قد شدُّوا وسطها بشريط (وهي السرير)، وقالوا: الزير للماء، والقصرية للخبز، والحماران والسدة تنام عليها من البراغيث.

قال: فنفعني ذلك، وكنت لما كثرت البراغيث ودخلت داري نزعت ثيابي وعلقتها على حبل قد شددته، واتزرت وصعدت إلى السدة خوفًا منها.

هذه حال الإمام في داره، وهي غاية الزهد والتواضع وقلة ذات اليد، مع عفافه وإبائه عما عند الناس، ولو كان حقيراً قليلاً، فما أدري لو دخلها سارق ما يجد فيها ليخرج إلا بحسرة الندامة، وربما التوبة والإنابة؟

* * *

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مكانته ومنزلته العلمية

مضى الكلام في ثناء العلماء البالغ عليه في علمه ودينه وزهده وورعه، ومع هذا فقد كانت له منزلة عظيمة عند أهل الإسلام في وقته وبعده إلى زمننا هذا، ونحن بعد ألف ومائة سنة من وفاته، وهذا لعمر الله من القبول الذي يوضع للعبد في الأرض، ودوام ذكره والترحم عليه. فجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**إن الله إذا أحب عبدًا نادى جبرئيل: إني أحبُّ فلانًا فأحبه، فيحبه جبرئيل، ثم يُنادي أهل السماء: إن الله يُحبُّ فلانًا فأحبُّوه فيحبه أهل السماء، ثم يُوضَع له القبول في الأرض**» ومثله من يبغضه الله.

ولا إخال الإمام ابن جرير إلا من هؤلاء المحبوبين، الذين وُضع لهم القبول في الأرض بين خلق الله.

* **فهو في علم القرآن**؛ الإمام البارع، إذ كان حافظًا مجوّدًا للقرآن، قارئًا له بالروايات، مُحسنًا لها؛ حيث أحاط بها، واختار لنفسه منها قراءة، وألَّف فيها كتابًا حافلاً في ثمان عشرة مجلدًا كبارًا، جمع فيها المشهور والشاذ وعلل وتوجيه القراءات وأسانيدها.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومع هذا رُزق صوتًا نديّاً شجيّاً في قراءة القرآن، كان شيخ المقرئين ببغداد ابن مجاهد يسعى لسماعه، ويقول: لا أظن أن أحدًا أوتي مثل صوته، أو أن الله خلق بشراً يُحسن هذه القراءة.

وسبق قول الخطيب البغدادي فيه: أنه جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره؛ فكان حافظًا للقرآن، عارفًا بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن.

* **وفي التفسير**؛ تبوّأ الإمام الطبري أعلى مكانة حتى نُعت بإمام المفسرين، وأصبح تفسيره أوفر كتب التفسير المطبوعة وأشملها، بل وأضخمها، قال فيه الخطيب: له كتاب في التفسير لم يُصنف أحد مثله.

وهو التفسير الذي قال فيه أبو حامد أحمد الإسفراييني الفقيه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصِّل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً.

ولما قرأ الإمام أبو بكر بن خزيمة ـ قرين الطبري ـ تفسيره كله، قال: إني لا أعلم على أديم الأرض أحدًا أعلم منه.

وأنت إذا نظرت في تفسيره وجدت أقوال السلف من الصحابة والتابعين موثقة بالإسناد، وتجد تفسير الآية بنظيراتها من آيات القرآن، وبحديث رسول الله ﷺ المسند منه سندًا. كما تجد فيه حكايات

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإجماع عن العلماء من أهل عصره ومن سبقوه في الأحكام الفقهيّة وغيرها، وتفسيره للآيات اعتمادًا على لغة العرب من خلال شعرها ونثرها، مع العناية بالنواحي النحوية وخلاف النحاة في الإعراب خصوصًا أهل الكوفة والبصرة، وهو في المباحث الكلامية والأدلة العقلية صاحب الحجة الباهرة، فهو إذا وجد مناسبة لهذا البحث تطرق إليه، وردّ على منتحلي الكلام من بضاعتهم.

فهو في الجملة كتاب حافل لا يستغني عنه طالب علم في فهم كتاب الله سبحانه وتعالى، فلا تعجب من عظم ثناء الأئمة عليه.

بل إن ابن جرير الطبري عرف أكثر ما عرف بهذا الفن - وهو التفسير - فلا تطرأ كلمة: التفسير إلا و يرتفع في الذهن إمامه الطبري وكتابه التفسير، ولا تُذكر كلمة الطبري إلا ويقال صاحب التفسير.

وكان قد أملى هذا التفسير في مدة سبع سنين من (٢٨٣ - ٢٩٠ هـ)، وقد استخار قبله في عمله ثلاث سنين.

هذا وقد كان الطبري قد استشار تلاميذه في التفسير، فقال: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا ما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره إلى نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولو أملاه كما قدّره أولاً لكان تفسيره - والحال هذه - عشرة أضعاف التفسير الموجود في ثلاثمائة جزء.

تلك مكانته العلمية في هذا الفن المهم.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* **أما في الحديث**؛ فهو المحدث الحافظ الثبت الذي أدرك كبار الحفّاظ ذوي الأسانيد العالية، فسمع في أول طلبه من كبار الأئمة، الذين أدركهم قبل وفاتهم كعمران بن موسى الليثي (٢٤٠ هـ)، وأحمد بن منيع (٢٤٤ هـ)، والوليد بن شجاع (٢٤٣ هـ)، وهنَّاد بن السَّري (٢٤٣ هـ)، وطبقتهم، وأكثر عنهم حتى بلغت مسموعاته من الإمام الحافظ محمد بن حميد الرازي (٢٤٨ هـ) نحو مائة ألف حديث إن لم تزد، ونحوها عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمذاني.

وقد مرّ وصف الخطيب البغدادي ـ وهو من هو في الحديث، إذ الناس عيال في الحديث عليه ـ للإمام ابن جرير في هذا الفن وعلومه بما يغني عن تكراره.

وتفسيره رحمه الله على طريقته في تلقي الحديث، وأداؤه أكثره بالرواية بالإسناد، وكذا المطولات من تواليفه، وأبرزها كتابه «تهذيب الآثار» الذي أبهر العلماء تصنيفه ومنواله ونسجه ومثاله، لكنه لم يتمّه.

وصفه أبو حامد الفرغاني في ترجمته له: «بأنه ابتدأ تصنيف كتاب «تهذيب الآثار» وهو من عجائب كتبه، ابتدأ بما رواه الصديق ـ رضي الله عنه ـ كما صح عنده بسنده، وتكلم على كل حديث بعلله وطرقه وما فيه من الفقه والسنن واختلاف العلماء وحججهم، وما فيه من المعاني والغريب، فتمّ منه مسند العشرة، وأهل البيت والموالي، ومن مسند

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن عباس جزء، ومات قبل تمامه».

وهو كتاب على طريقة المسانيد في ترتيبه وعرضه، لكن منهجه يخالفها في التميز والاستطرادات الفقهية والعلل والأحكام . . ولذا قال فيه ياقوت الحموي في معجمه: «. . . وهو كتاب يتعذر على العلماء عمل مثله، ويصعب عليهم تتمته». ولذا لم يذكر أن أحدًا حاول السير على منواله وإكماله؛ بل قال القفطي: إنه أعيا العلماء إتمامه.

ومدح هذا الكتاب ـ الدال على علو منزلته في هذا الفن عند أهله ـ الحافظ ابن كثير في الطبقات، وأثنى عليه جدًا فقال: «. . وصنف المصنفات النافعة في الأصول والفروع ومن أحسن ذلك «تهذيب الآثار» ولو كمل لما احتيج معه إلى شيء، ولكان فيه الكفاية لكنه لم يتمّه».

ولو لم يكن مما يدل على سمو مكانته عند أهل الحديث إلا هذا الكتاب لكفاه فخرًا وشرفًا! كيف وله كتاب «المسند المجرد» انتخب فيه ما رواه عن شيوخه على نحو طريقة المعاجم.

* **أما مكانته عند أهل السنة والجماعة** من جهة عقيدته، فهذا له فيه القدح المعلى، وكتبه طافحة والحمد لله ببيان عقيدتهم؛ بل كتبه مرجع أهل السنة والجماعة بعده في تقرير عقيدة السلف والدعوة إليها، ولو لم يكن إلا هي كفته. كيف وقد صرح بعقيدته ـ لما اتهم فيها ـ في

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كتابه المسمى «صريح السنة» فأبان عقيدة تلقاها العلماء بعده بالقبول، وزينوا بها تصانيفهم مع عقائد إخوانه كبار العلماء. كما عند اللالكائي في «شرح السنة» وقوَّام السنة الأصبهاني في كتابه «الحجة»، وأبي يعلى الحنبلي في «إبطال التأويلات لأخبار الصفات»، وابن تيمية في «قاعدة الاسم والمسمى»، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»، والذهبي في «العلو للعلي الغفار»، وغيرهم ممن نقل عنها أو عنهم، فضلاً عن إيرادها أو جملاً منها في تراجمه.

وكذا كتابه هذا «التبصير في معالم الدين» شاهد بما شهد به سابقه من ثباته على عقيدة السلف، ودعوته أهل طبرستان إليها، والمنافحة عنها، وذبّ شُبه المبتدعة عليها.

كما أنه ـ رحمه الله ـ أوتي معرفة بالطرق الكلامية، وقواعد الفلاسفة، فتجده في التفسير أحيانًا يخوض في بحث مسائل العقيدة على طريقتهم تقريرًا لها عليهم، وإقامة للحجة من مسلكهم، مع قوة الرد ومتانة العبارة. بل نجده من صفاء ذهنه وفرط ذكائه يورد الإيراد ويهدمه بسرعة الجواب وصلابته وشموله.

ومن العجيب أنه سمع كتاب «الفردوس في الحكمة والفلسفة» من علي بن زين الطبري واستملاه في سبعة أجزاء ولم يضره ما فيه كما يذكره تلميذه ابن كامل في ترجمته له، فسبحان الله العظيم.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

* **و أما منزلته الفقهية**؛ فلا تنزل عن مكانته في التفسير وعلوم القرآن والحديث والعقيدة؛ حيث كان ـ رحمه الله ـ متبعًا للشافعي، دارسًا لسائر مذاهب الفقهاء المشهور: الحنفية والمالكية والظاهرية إلا أن مستواه العلمي، ومداه في التحصيل لم يرض بالتبعية، طارت همته بما أوتي من أدوات وملكات إلى الاجتهاد مطلقًا حتى وصل إلى مرحلة كبار المجتهدين، فعُد في عدادهم.

وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مواضع من «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» يعدّه من آخر المجتهدين الكبار في الإسلام بدءًا من مجتهدي الصحابة مرورًا بكل عصر بأكابره حتى ينتهي المطاف به و بابن المنذر. وانظره في المنهاج (٢/ ٤٧٢، ١٠٧) و(٦/ ٥٣) و(٧/ ٤٢٨، ١٣، ٢٨٦)، وغيرها.

وكتبه كلها شاهدة بهذا خصوصًا ما ألفه في الفقه خاصة مثل كتابه اختلاف الفقهاء المسمَّى «اختلاف علماء الأمصار»، وكتاب «لطيف القول في أحكام الشرائع»، وكتاب «بسيط القول». وسيأتي الكلام عليها وصفًا في تأليفه وآثاره.

* **وما كتبه في أصول الفقه** وقواعده يتضمنه ذلك، ومبثوث في تفسيره في مظانه. قال الخطيب: «وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حُفظت عنه»، وتعقبه الذهبي بقوله: « . . . إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التاريخ وأيام الناس، عارفًا بالقراءات وباللغة وغير ذلك».

وكان مذهبه الفقهي مذهبًا متبعًا تفقّه به كثير من أصحابه ومن جاء بعدهم، حفظه في كتبه الفقهية خاصة كتابه «اللطيف»، وقد عدّ ابن النديم له أصحاباً وتلامذة في باب جعله خاصًا بهم في فهرسته، وكان من أشهرهم المعافى بن زكريا ابن طرار (٣٩٠ هـ).

* **أما شأنه في علم التاريخ والأخبار**؛ فكما كان إمامًا للمفسرين بكتابه التفسير، فهو في هذا الفن كان إمامًا وشيخًا للمؤرخين بكتابه التاريخ، المسمَّى بـ «تاريخ الأمم والملوك».

وهو كتاب فريد في بابه وعرضه، امتدحه كل من تكلم على مؤلفاته كالخطيب البغدادي والفرغاني وابن خلكان وياقوت الحموي والذهبي وهم أئمة هذا الشأن، واعتمد عليه جماعة من المؤرخين من بعده، ولذا كان إمام المؤرخين، قال فيه أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن المغلّس[1]:

«ما عمل أحد في تاريخ الزمان، وحصر الكلام فيه مثل ما عمله الطبري، وإني لأظن أبا جعفر قد نسي مما حفظ إلى أن مات قدر ما

(١) هو الإمام المحدث فقيه العراق عبد الله ابن المحدث أحمد بن محمد بن المغلّس البغدادي الظاهري ناشر مذهب الظاهرية، مات سنة ٣٢٣ هـ وله بضع وستون سنة، له كتاب «أحكام القرآن» و«الموضح» و«المبهج»، وكتاب «الدافع» في الرد على من خالفه، وكتاب «الطلاق». أخبار النبلاء (١٥/ ٧٧)، وتاريخ بغداد (٩/ ٣٨٥)، وطبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٧٧)، والعبر للذهبي (٢/ ٢٠١)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٢٢٧).

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حفظه فلان طول عمره، وذكر رجلاً كبيراً من أهل العلم، وإن كتابه في التاريخ من الأفراد في الدنيا فضلاً ونباهة، وهو يجمع كثيراً من علوم الدين والدنيا، وهو في خمسة آلاف ورقة».

وذكر أبو القاسم بن عقيل الوراق: أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة! فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فقال: إنا لله، ماتت الهمم!

وروي مثله في التفسير. ذكره الذهبي بالإسناد في السير.

وكتابه التاريخ هذا على طريقة الإخباريين والنقلة، وقد أبرأ عهدته في مقدمته بقوله معذراً: «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهًا في الصحَّة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدِّي إلينا». وإن كنا نعتب عليه ـ رحمه الله ـ حشده لمرويات أبي مخنف لوط بن يحيى الشيعي وغيره من المتروكين في مسائل حسَّاسة كما جرى بين الصحابة بعد عثمان!

هذا تاريخه على هذه الطريقة، وله تاريخ على طريقة تواريخ المحدثين هو كتاب «المنتخب من ذيل المذيل» أملاه في ألف ورقة، بعد

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سنة من تاريخ الرسل والأمم، أوْرَدَ فيه تاريخ من قُتل من الصحابة في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن عاشوا بعده، وكذا تابعيهم، ومن روى عنهم طبقة عن طبقة، ووفياتهم إلى أن بلغ شيوخه في عصره. وهو كتاب يناسب علم التاريخ ذي المكانة والجلالة عند المؤرخين، وهو تاريخ حياة الرواة ووفياتهم، والذي به يستقيم معرفة حالهم وقبول أخبارهم وآثارهم.

* **والعلوم العربية بأنواعها**؛ شعر ونحو وصرف وبلاغة وبيان وعروض لها نصيب من علوم الإمام محمد بن جرير، فله فيها باع طويل مشهودٌ له فيه بالتمكن والحيازة لإمامته.

* **ففي الشعر** كان حافظًا لكثير من أشعار الجاهلية والمخضرمين وشحن بها تفسيره الذي أملاه، ودخل مصر ولا يحفظ فيها شعر الطرماح بن حكيم سواه حتى سأله علماؤها أن يمليه عليهم ويشرح غريبه ويوضح مبهمه.

ولما حاوره أهل مصر في الفنون، وجاءه من يمتحنه في العروض أرجاه إلى الغد، فأتقن بليلة واحدة العروض للخليل بن أحمد الفراهيدي بعد أن استعاره من صديقه، حتى قال عن نفسه: «أمسيت غير عروضي فأصبحت عروضيًا».

* **وفي علم النحو والإعراب** ومذاهب الناس فيه واختلافاتهم

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كان له السبق على أهل عصره بمن فيهم نحاته الكبار. حتى شهد له شيخه أحمد بن يحيى ثعلب الكوفي (٢٩١هـ) بالسبق على الطلبة بقوله: قرأ عليَّ أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة، وكان الطبري قد دخل الكوفة في أول رحلته في الطلب وهو إذ ذاك صغيراً.

وأخرى من ثعلب أدل منها على تمكّن الطبري من فن العربية ما رواه أبو بكر بن مجاهد قال: إن أبا العباس ثعلب قال له يومًا: من بقي عندكم من النحاة في الجانب الشرقي ببغداد؟ فقلت: ما بقي أحد، مات الشيوخ. فقال: حتى خلا جانبكم؟ قلت: نعم، إلا أن يكون الطبري الفقيه! فقال لي: ابن جرير؟! قلت: نعم. قال: ذاك من حذّاق مذهب الكوفيين. قال ابن مجاهد: وهذا كثير من أبي العباس ثعلب؛ لأنه كان شديد النفس، شرس الأخلاق، وكان قليل الشهادة لأحد بالحذق في علمه. يقصد من هذا أنه قلَّمَا يُعجبه أحد من شدّته.

ولا أدل على هذه الشهادة إلا لمن تأمل تفسير ابن جرير وملاحظة التبحر في النحو والإعراب والاختلاف فيه، وتوجيه القراءات على ضوئها، فالكتاب زاخر بهذا وغيره مما يفيد عن إمامته فيه.

وبعد . . فإن علوم ابن جرير التي تمكّن بها وبلغ فيها المعالي لا تقتصر بما ذكرته بل تنوع فيها وتفنن، فقال تلميذه عبد العزيز بن محمد

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الطبري في ترجمته له: «قنطرة البراد محظوظة من العلماء النحويين، كان فيها أبو عبيد القاسم بن سلام، ومسجده وراء سويقة جعفر معروف به، وكان غلان الأزدي ومسجده في هذا الموضع معروف، وكان أبو بكر هشام بن معاوية الضرير النحوي، وكان مسجده عند مسجد أبي عبد الله الكسائي، وكان بها أبو عبد الله محمد بن يحيى الكسائي، ومنه انتشرت قراءة أبي الحارث عن الكسائي، وقرأ عليه كبار الناس، وتركها أبو جعفر الطبري، وكان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون وأبواب الحساب وفي الطب، وأخذ منه قسطًا وافرًا يدلُّ عليه كلامه في الوصايا.

وكان كالقارىء الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدِّث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب.

وهذا أيضًا قرره عليه ياقوت الحموي في ترجمته له، فسبحان الذي جمع لواحد من خلقه هذه الفنون المتنوعة، التي نَدُر أن يبرع فيها واحد من آحادها، كيف بمجموعها؟! لا إله إلا الله العزيز الحكيم.

* * *

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بلاغته وشعره

لئن كانت حظيت بعض جوانب حياة ابن جرير العلمية والذاتية ببعض التفصيل إلا أن هذا الموضوع كان طرقه قليلاً عند مترجميه، وقد ضمن كتابه «أدب النفوس» أو «الآداب النفيسة والأخلاق الحميدة» شيئًا كثيراً من تلك البلاغة، منها ما نقله عنه الذهبي في السير قال: «ولأبي جعفر في تآليفه عبارة وبلاغة فمما قاله في كتابه ـ الآنف الذكر ـ القول في البيان عن الحال الذي يجب على العبد مراعاة حاله فيما يصدر من عمله لله عن نفسه. قال: إنه لا حالة من أحوال المؤمن يغفل عدوه الموكل به عن دعائه إلى سبيله، والقعود له رصدًا بطرق ربه المستقيمة، صادًا له عنها، كما قال ربه ـ عزَّ ذكره ـ إذ جعله من المُنْظَرين: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ طمعًا منه في تصديق ظنَّه عليه إذ قال لربِّه: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فحقّ على كلِّ ذي حجىً أن يُجهد نفسه في تكذيب ظنّه، وتخييبه منه أملَه وسعيه فيما أرغمه، ولا شيء من فعل العبد أبلغ في مكروهه من طاعته ربّه، وعصيانه أمره، ولا شيء أسرُّ إليه من عصيانه ربَّه واتباعه أمره. قال الذهبي: فكلام أبي جعفر من هذا النمط وهو كثير مفيد».

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي الحقيقة أمثال هذا الكلام البليغ كثير في التفسير خصوصًا من بقية مطبوع تآليفه.

كذلك «التبصير في معالم الدين» من نحو هذا، ففيه بلاغة في التعبير، ومتانة وعمق في الأسلوب والفكرة واضحتان جدًا، كما تتميَّز مؤلفاته بقوة عبارته ورصانتها، وتميّز عرضه حتى من قرأ شيئًا من أثنائها ولم يكن اطّلع على طريقها المعرفة بمؤلفها لانصرف ذهنه إلى كلام أبي جعفر الطبري.

كما أتحفتنا المصادر بأبيات من نظمه، نظمه في مناسبات مختلفة، يدلّ على توافر ملكة الشعر عنده، ومن ذلك قوله:

خلقان لا أرضى فعالهما ... بطر الغنى ومذلة الفقر

فإذا غنيت فلا تكن بطرًا ... وإذا افتقرت فتهْ على الدهر

وقال:

إذا أعسرت لم يعلم صديقي ... وأستغني فيستغني صديقي

حيائي حافظ لي ماء وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقي

ولو أني سمحت بماء وجهي ... لكنت إلى العلى سهل الطريق

وأجاب صديقه أحمد بن عيسى العلوي وكان من بلده:

يسيء أميري الظنّ في جهد جاهد ... فهل يُحسنّ الظنّ منه سبيل

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تأمل أميري ما ظننتُ وقلته فإن جميل الظنّ منك جميل

فانظر إلى شعره فهو خال من التكلف، يجري كأنه سليقة له، متضمنًا المقابلة والأمثال والحكم.

وقد ذكره القفطي في كتاب «المحمدين من الشعراء»، وقال: «كان له ـ رحمه الله ـ شعر فوق شعر العلماء».

ومن شواهد ملكته البلاغية والشعرية ما اختاره في تفسيره وتاريخه من عيون الشعر، ومنخول الخطب والنثر، وبليغ العبارات؛ ما يشهد له بطول الباع، والتمكن في هذا الفن.

* * *

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أخلاقه ومكارمه

قال النبي ﷺ: «**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم**». ومكارم الأخلاق ومعاليها في الأغلب الكثير طبْعٌ من الله لعبده عليه، كما في حديث أشج عبد قيس أن النبي ﷺ قال له: «**إن فيك خُلَّتين يحبهما الله: الحلْم والأناة**». فقال: أخلقين تخلّقت بهما، أم خلقين جُبلت عليهما؟ فقال: «**بل خُلُقين جُبلت عليهما**». فقال: الحمد لله الذي جبلني على خُلُقين يُحبهما الله ورسوله. أخرجه أبو داود، وغيره، ومع هذا فقد جاء في الشريعة الندب إلى حسن الخُلُق والحث عليه.

وابن جرير الطبري - رحمه الله - حياته العلمية أفرزت ما تمعدن به من الأخلاق الفاضلة، ومما أظهر هذا تلاميذه الذين كتبوا لنا ترجمته فوصفوا شيئًا من هذا في مروءته وكرمه وظرفه وتواضعه وتفاؤله رحمة الله عليه.

وقبل هذا كان الإمام أبو جعفر أبيًا عزيز النفس - مع فقره وقلة ذات يده - فربما باع ثوبه أو قميصه ليتقوَّت به ولا يسأل الناس شيئاً. كما كان يرفض جوائز الأمراء وهدايا السلطان ومنح العمال مهما كان سببه

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وموحيه، وإن شارط أحدًا على شيء مقابل عمل أو وظيفة فإنه لا يأخذ إلا ما شارطه عليه، مع سماحة نفس الباذل بالزيادة، وهذا في الحقيقة رفَعَ قدْره، وأعظم منزلته عند أهل الولايات؛ بل عند الناس جميعًا؛ لأنه زهد فيما عندهم فأحبوه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم.

وإنّ عزّة النفس للعالم وعدم اغتراره بالمال من الناس صغيرهم وكبيرهم خُلُق عظيم لا يعكس ذاته فحسب؛ بل وإيمانه وقوة يقينه، ويرفع شأن علمه ومنزلته عند الناس، وكم في الحقيقة امتحن أهل العلم بالمال فافتتنوا به إلا من رحم ربي وقليلٌ ما هم.

ومن عزّة نفسه أن أبا الهيجاء بن حمدان وجَّه إليه ثلاثة آلاف دينار، فلمّا نظر إليها عجب منها، ثم قال: لا أقبل ما لا أقدر على المكافأة عنه ومن أين لي ما أكافيء به عن هذا؟! فأجيب: بأنه ليس لهذا مكافأة، إنما أراد منها التقرب إلى الله عز وجل، لكنه ـ رحمه الله ـ أبى ورفض قبولها.

* **أما مروءته وكرمه**؛ فإنَّه لا ينقل للمال اهتمامًا متى جاء أو ذهب وكان إذا أهدي إليه شيء قَبلَه ويُكافيء صاحبه بأضعافه، فقد أهدى إليه جاره أبو المحسن المحرر فرخين، فأهدى إليه الطبري ثوبًا حسناً.

ومرة أهدى إليه أبو علي بن عبيد الله الوزير رمانًا فقَبلَه شاكرًا وفرَّقه

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بين جيرانه.

ولأنه لا يقبل هدية إلا ويُكافىء بمثلها أو أضعافها، فقد توقف الوزير من إهدائه؛ لأنه جاءته نفقة المزرعة في طبرستان ومعها حيوان برِّي ثمين الفراء يسمى سمُّور يشبه القط ـ ولعلّه القطّ البرِّي ـ فأرسله إلى الوزير مكافأة له على هديته، ولما قوّم هذا السَّمُّور صار بأربعين ديناراً لم يجد الوزير بُدًا من قبوله، وإيقاف بعثه بالهدايا إليه.

وهذا من تمام المروءة وسدد الخُلُق؛ لأن المهدي صارت له يد عليه، فمن المعروف حسن المقابلة والمجازاة بالمثل: «**مَنْ صنعَ إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافاتموه**» يقوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما سبق أن تلميذه أبو الفرج بن أبي العباس الأصبهاني كان يختلف إليه، ويقرأ عليه العلم، فطلب منه الطبري حصيراً لغرفة عنده صغيرة، فصنع أبو الفرج الحصير وجاءه به يريده هدية لشيخه متواضعة منه، ولكن أبا جعفر أبى من أخذه إلا بأربعة دنانير.

* **ودعابته وظرافته**؛ فشيء لا يقل عن سابقه، وله فيها طرائف:

فقد كان عنده رجل من أصحابه يُكثر التقعر وليَّ لسانه بالإعراب، ويتكاثر فيه إلى درجة بغيضة، فأخذ في ذلك التقعر يومًا عنده، فقال له

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الطبري: أنت بغيض، فسُمِّي «بغيض الطبري» بعدها.

ورأى القاضي ابن كامل هذا الرجل يومًا بسوق بغداد بمكان يجتمع فيه الورّاقون، فوقف عليهم وسلّم ثم اعتذر من وقوفه ينتظر الورّاق بقوله: «لولا من ما كنت بالذي» يريد لولا من ما هنا ما كنت لأقف على دكانك، فلا غروْ من تسميته بعد ببغيض الطبري.

ومن نحو هذا أن أبا الفرج بن أبي العباس الثَّلاج ـ تلميذ أبي جعفر ـ كان يتعسف في كلامه ويتكلف، قال في مجلس شيخه: أنه أكل الطباهقة، فقال له ابن جرير: وما الطباهقة؟ قال: هي الطباهجة ـ وهي طعام من اللحم والبصل والبيض، والكلمة فارسية ـ ألا ترى أن العرب تقلب الجيم قافًا؟! فأجابه الطبري: فأنت إذاً أبو الفرج بن الثَّلاق. فإن دعابة الشيخ شيء محبب جدًا لطلابه، وداعي للقبول منه والأخذ عنه و الالتفاف حوله، وهو أمرٌ مُجرَّبٌ.

وكان رحمه الله يراعي الأدب مراعاة تليق بمثله، ومن هو بمنزلته علماً وقدرًا حتى في الأمور العادية غير الملاحظة.

قال ابن كامل القاضي: ما رأيت أظرف أكلاً من أبي جعفر، كان يُدخل يده في الغضارة فيأخذ منها لقمة، فإذا عاد بأخرى جمع معها ما بقي من آثار اللقمة الأولى في حافة الغضارة، فكان لا يلطّخ من الغضارة ـ وهي القصعة ـ إلا جانبًا واحدًا، وإذا تناولها سمى بالله، ثم

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وضع يده اليسرى على لحيته ليقيها رائحة الدسم، ثم يزيل يده إذا دخلت لقمته عن فمه، وكان في مجلسه لا يُسمع له تنخّم أو تبصّق، وإذا أراد أن يمسح ريقه أخذ ذؤابة منديله، ومسح جانبي فمه.

وذكر ابن كامل أنه حاول التشبّه به في هذه العادات فعجز عن ذلك، والتلميذ عادة مُغرَم بتقليد شيخه حتى في عادي الأشياء.

وذكر أحد وجهاء بغداد وهو أبو علي محمد بن إدريس الجمَّال قال: حضرنا يومًا مع أبي جعفر الطبري وليمة، فجلست معه على مائدة، فكان أجمل الجماعة أكلاً، وأظرفهم عشْرة، ولا يأكل حتى يُؤذن في الأكل ويعزم عليه فيه.

* **ومن أخلاقه الظاهرة عليه كريم نفسه ووفاؤه**؛ وحُسْن علاقته بطلابه تسمو بها هذه الخصلة الكريمة. قال تلميذه عبد العزيز بن محمد الطبري: «أخبرني غير واحد من أصحابنا أنه رأى عند الطبري شيخنا شيخًا مسنًا، قام له الطبري وأكرمه، ثم قال أبو جعفر لطلابه: إن هذا الرجل لَحَقَ به من أجلي ما استوجب به عليَّ كثيرًا من الحقوق، وذلك أني دخلت طبرستان وقد شاع سبّ أبي بكر وعمر، فسألوني أن أملي فضائلهما ففعلت. وكان سلطان البلد يكره ذلك، فلمَّا عَلِمَ بإملائي فضائلهما أرسل يستدعيني، فبادر هذا الشيخ وأرسل إليَّ يُحذّرني بأني مطلوب، فغادرت البلد ولم يشعر بي أحد، فوقع الشيخ في أيديهم، فضربوه بسببي ألفًا.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فلمَّا صنع هذا الجميل منه لم يستكثر الطبري على نفسه الاعتراف بجميله وشكره ظاهرًا عليه.

إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكتَه وإن أنت أكرمت اللئيم تمرَّدا

* **ومن أخلاقه الواضحة عليه**: تواضعه، وخفّة نفسه، وبساطته مع مكانته الرفيعة ديناً وعلمًا وقدرًا عند الوجهاء والناس؛ فكان من تواضعه يخرج مع تلاميذه إلى البراري، ويأكل معهم ويباسطهم، ويُجيب الدعوة التي توجه إليه، والوليمة التي يُسأل حضورها، فإذا مضى إلى منزل منها كان ذاك يومًا مشهودًا عظيمًا حضوره مفرحًا لمضيفه، مُعليًا لذكره بدعوة هذا الإمام وحضوره داره.

ومع هذا كان لا يُباهي بحفظه وعلومه وذكائه وفطنته، ولم يكن يفُاخر في نقاشه ومناظرته؛ بل يتناسى ما حدث، و يُؤثر ألا يذكره، فلينتبه لهذا طلاب العلم في معاهدهم مع شيوخهم، وفي مساجدهم.

تناظر الطبري مرَّة مع شيخه إسماعيل المزني بمصر في مسائل الفقه والإجماع وظهرت حجة ابن جرير، فسأله عنها تلميذه ابن كامل القاضي فلم يذكرها له؛ ويبرر ذلك ابن كامل بأنه كان أفضل من أن يرفع نفسه، وأن يذكِّرها بانتصاره على خصمه، فضلاً عن شيخه. وهو بعد المناظرة كان يُكثر من الثناء على شيخه المزني ويطريه، ويمدح تدينه وعلمه وفضله.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونادرة أخرى مع شيخه داود بن علي الظاهريّ، حيث جرت بينهما مسألة تفوَّق فيها التلميذ الطبري على شيخه بعد النقاش، فآلم ذلك أصحاب داود، وأغلظ أحدهم على ابن جرير، فقام من المجلس، فألَّف الرد على داود بكتابه المسمَّى «الرد على ذي الأسفار» ويريد به أن داود يعتمد على الكتب دون النظر والتفكير، ثم بدا له أن يخرج من الكتاب ما لا يتناسب، فلم يزل يُخرج منه شيئًا بعد شيء حتى أخرج منه مائة ورقة، ثم كفَّ بعد موت داود فلم يُل من الكتاب شيئًا.

وذكر أبو بكر بن داود بن علي الظاهري قال: كان في نفسي مما تكلَّم ابن جرير على أبي، فدخلت يومًا على ابن حامد وعنده أبو جعفر الطبري، فقال ابن حامد: هذا فلان وعرَّفه بي، فلما رآني أبو جعفر وعرف مكاني، رحَّب بي، وأخذ يُثني على أبي، ويمدحه ويصفُه ويصفُني بما أزال ما في نفسي من كلامه. فهذا الموقف من أبي جعفر ـ رحمه الله ـ أذهب غيظ قلب جليسه؛ بل وأودعه محبته فاستبدل البغض إعجاباً ووداً.

* **وكان من صفاته الخُلُقية ومكارم نفسه:** الفأل الحسن والتفاؤل به؛ فهي صفة من صفات النفس الخفيفة السمحة الكاملة، وتدل على الطبع المعتدل والمزاج السويّ.

والتفاؤل من مندوحات الشرع، فكان نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعجبه الفأل الحسن، والكلمة الطيبة.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الحوفي: وقد كان من تفاؤل ابن جرير وقناعته بما يرسل إليه من نصيبه في ضيعته بطبرستان، وشغفه بالعلم، وانقطاعه له، كان هذا هو السبب في أنه لم يسخط من الدنيا حظَّه، ولم ينقم على أهل زمانه، ولم يتبرَّم بالبحث الذي وهب له نفسه.

قال تلميذه ابن كامل: دخلت على الطبري وهو مريض جدًا ومعي ابني فقال لي: هذا ابنك؟ قلت: نعم، قال: ما اسمه؟ قلت: عبد الغني، قال: أغناه الله، وبأي شيء كنيته؟ قلت: بأبي رفاعة، قال: رفعه الله. ثم قال: هل لك غيره؟ قلت: نعم، أصغر منه، فسأل عن اسمه فقلت: عبد الوهّاب أبو يعلى، قال: أعلاه الله، لقد اخترت الكنى والأسماء. والفأل الحسن مما تتجه إليه النفس وترتاح إليه خواطر القلوب، إمّا ظاهرًا على قسمات الوجه وفلتات اللسان، وإمّا باطناً في النفس.

* * *

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

محنته وفتنته

جرى أمر الله سبحانه وتعالى بوجوب ابتلاء عباده وامتحانهم ليُمحِّص المؤمنين الصابرين، ويُكفِّر عنهم سيئاتهم ويغفر ذنوبهم، كما قال تعالى في أوّل سورة العنكبوت: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. وفي هذا جاء الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسَب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيدَ له في البلاء**».

ومن هذه القاعدة فإن أهل الإيمان لابد لهم من الابتلاء والامتحان، وإن تعددت صوره وأحواله؛ فهذا بالسجن وهذا بالتعذيب والحجر وأخذ المال والقتل والضرب وأنواع الهموم والمصائب.

وكان للعلماء الصالحين المصلحين نصيب من هذا؛ لعظَم إيمانهم وصلابته، والذي يطّرد معه شدّة المحن وقوتها، فخير عباد الله صلى الله عليه وآله وسلم ناله من ذلك البلاء ما هو معروف، فأمره الله بالصبر

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما صبر أولو العزم من الرسل قبله، وهكذا من بعده من صحابته والتابعين، حتى كان عصر ابن جرير، فكان من أمْيَز ما فيه ابتلاء العلماء بالفتنة بخَلق القرآن والقول به، وما نال العلماء والناس فيه من المحنة والفتنة، وكيف ثبت فيها أولياء الله، والله سلَّم ابن جرير من هذه الفتنة.

وابن جرير الطبري - رحمه الله - نالته المحنة كإخوانه من العلماء قبله وبعده، وكان أشد ما امتحن به الطبري هو رميه بالرفض والتشيّع، حتى شاع ذلك عند بعض العلماء عنه، منهم الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» حيث قال: «ثقة صادق فيه تشيّع يسير وموالاة لا تضر». وقال ياقوت الحموي: إنه كان يُتَّهم بالتشيّع، لذلك قيل إنه دُفن ليلاً خوفًا من العامّة. بل ذكر الذهبي في «الميزان» والحافظ في لسانه: أن الحافظ أحمد بن علي السليماني أقذع فيه فقال: كان يضع للروافض؛ كذا قال السليماني[1].

لكن ابن حجر أجاب عن هذه التّهمة فقال: «وهذا رجمٌ بالظنّ الكاذب؛ بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين، وما تدعى

---

(١) هو الإمام الحافظ المعمَّر أحمد بن علي بن عمر السليماني البيكندي البخاري (٣١١-٤٠٤ هـ)، قال عنه الذهبي في السير: راتب السليماني كتابًا فيه حط على كبار فلا يسمع منه ما شذّ فيه، النبلاء (١٧/ ٢٠٠)، والأنساب (٧/ ١٢٢)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣٦)، وطبقات الحفاظ (٤٨).

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عصمته من الخطأ، ولا يحل لنا أن نُؤْذيه بالباطل والهوى، فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يُتأنَّى فيه، ولاسيما في مثل إمام كبير، فلعلّ السليماني أراد الآتي، ولو حلفت أن السليماني ما أراد إلا الآتي لبررت، والسليماني حافظ متقن كان يدري ما يخرج من رأسه فلا أعتقد أنه يطعن في مثل هذا الإمام بالباطل، والله أعلم».

وسبب تلك التهمة ـ والله أعلم ـ :

١ - أن ابن جرير صنف في حديث «غدير خم . .» فجمع الآثار الواردة فيه، ثم أعقبه بالأحاديث الواردة في فضائل عليٍّ ولكن لم يتمّه، وبلغ مجلدين كبيرين.

٢ - أنه نسب إليه القول بجواز المسح على القدمين بدل غسلهما فلا يقول بوجوبه.

٣ - بعضهم نسب إليه كتاب «بشارة المصطفى» وهو في منازل الشيعة ودرجاتهم.

أما السبب الأول: فلا ضير فيه ولاتشيّع أو ميل إليه، فحديث: «غدير خم . .» من الأحاديث الواردة، والدافع لابن جرير في جمع طرقه والكلام عليه أنه سمع من بعض البغداديين الكلام على هذا الحديث و إنكاره، فجمع فيه هذا.

وأما إلحاقه ما ورد من فضائل عليّ ففضائله حق ـ رضي الله عنه ـ

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لاشك فيه، ولكن الشأن في الثابت المسند من ذلك، لا بالاستطالة مع أباطيل الرافضة وترهاتهم وخزعبلاتهم في عليّ وآل بيته.

والسبب الثاني: أجاب عنه الذهبي فقال: وكان ابن جرير من رجال الكمال، وشنّع عليه بيسير تشيّع، وما رأينا إلا الخير.

وكان بعضهم ينقل عنه أنه كان يُجيز مسح الرجلين في الوضوء، ولم نر ذلك في كتبه؛ بل الذي في تفسيره الأمر بغسلهما بدليل الكتاب والسنة وآثار الصحابة.

والسبب الثالث: أن هذا الكتاب المنسوب إليه بعنوان «بشارة المصطفى» ليس من مؤلفاته، فلم يذكر في عدادها ولم ينسبه إليه أحد، وإنما جاء الوهم من نسبته إليه أن الكتاب لرجل رافضي من رجال القرن السادس اسمه أبو جعفر محمد بن علي بن مسلم الطبري الآملي[1]. ذكره صاحب الذريعة إلى مصنفات الشيعة (٣/ ١١٧).

وكما ألّف ـ رحمه الله ـ في فضائل عليّ فقد ألّف في فضائل الشيخين؛ حيث سمع جماعة في طبرستان يبسطون ألسنتهم في

---

(١) وانظر مقدمة تاريخ الطبري (ص ٢٠) لمحققه، والطبري للحوفي (ص ٢٤٢)، وانظر عنه الميزان (٣/ ٤٩٩)، والكنى والألقاب (٢/ ٤٠٢)، وجامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الفرق للحائري (٢/ ٨٣)، والفهرست لشيخ الطائفة الطوفي الرافضي (ص ١٢٥)، وانظر معجم المؤلفين (٣/ ١٩٠)، فلا يشتبه مع الإمام وإن اشتركا في الاسم والكنية والنسبة ولا كرامة.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصحابة والخليفتين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فألَّف ذلك الكتاب وأشاد بفضلهما وأثنى عليهما، ووصفهما بأنهما إماما هدى، وأنكر على من لا يصفهما بالرشد والصلاح، كما ألَّف في فضائل العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ .

فإنه لَمَّا ألَّف في فضائل الشيخين كان هذا سبب هروبه من بلده طبرستان لما عاد إليها بعد رحلاته؛ حيث بلغ سلطان البلد إملاؤه فضائلهما فطلبه ليُعاقبه فهرب بمساعدة رجل أعلمه بمقصودهم، وجاء إلى بغداد، فهذه محنة أدَّت به إلى ترك وطنه ومرتع صباه.

أما ذلك الرافضي الذي اشتبه اسمه باسم الإمام الطبري أشار إلى ذلك ابن حجر، فهو كما في اللسان (٥/ ١٠٣): أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري[1]، فهو يشترك مع إمامنا بالكنيَّة والاسم الأول واسم الأب والنسبة والبلد وسنة الوفاة و يختلفان في اسم الجد.

وقال فيه ابن حجر: رافضي له تواليف منها «كتاب الرواة عن أهل البيت»، رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني.

وقد ذكره أبو الحسن بن بابويه في تاريخ الري بعد ترجمة محمد بن

---

(١) بالمناسبة قد يظنّ بعض الباحثين أن كتاب «دلائل الإمامة» الموجود بمكتبتين بإيران: مكتبة رضا والمرعشي ـ هو الإمام أبي جعفر الطبري إمام المفسرين، وإنما هو للطبري الرافضي، ومن العجيب أنه سنة وفاتهما واحدة في عام ٣١٠ هـ.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جرير الإمام، فقال: هو الآملي، قدم الري وكان من جلّة المتكلمين على مذهب المعتزلة، وله مصنفات.

واستظهر الحافظ أن نسبة مسح الرجلين لابن جرير هي بالأصل منسوبة لهذا الرافضي ابن رستم؛ لأنه مذهبهم.

وأمرٌ آخر امتحن به من قِبل بعض خصومه من الحنابلة، لَمَّا صنَّف كتاب «اختلاف الفقهاء» ولم يُورد معهم الإمام أحمد بن حنبل، فلمَّا سُئل عن ذلك قال: لم يكن ابن حنبل فقيهًا، وإنما كان مجتهدًا، فكان هذا سبباً للتعصب عليه من بعضهم كالجصّاص والبياض وجعفر بن عرفة.

إضافة إلى ما كان بينه وبين الإمام الحافظ أبي بكر بن أبي داود مما يقع مثله بين الأقران، فمال أولئك من الحنابلة إلى ابن أبي داود على ابن جرير فأكثروا عليه، فناله بذلك أذى لزم بسببه بيته، ومنع من الدخول عليه؛ حيث ذكر ياقوت: أنهم حالوا بين الناس وبين السماع منه فكان لا يخرج ولا يدخل إليه.

ومما كان بينهما أن أبا بكر أنكر حديث غدير خم فألَّف ابن جرير مجلدين مصححًا له، فربما كان هذا بينهما مُشعلاً للإشغاب بين الأقران!

وأمَّا ما يذكره بعضهم من أن الحنابلة اتهموه في عقيدته فلم أر عليه

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دليلاً، بل ما يذكر أنه كتبه خلال هذه المدة من البلوى، فكتب عقيدته التي تُسمَّى«صريح السنَّة»، ولمَّا سئل عن أحمد ذكر ما له من التبجيل والمنزلة اللائقة به، ثم انفرجت تلك المحنة عنه بعد حين.

وأقول بصراحة: إن أسباب تلك المحنة لم تزل بعدُ غامضة الدوافع والنتائج والحيثيات، وعليه فلا نطيل فيها، والحمد لله على العافية، وهم جميعًا أفضوا إلى بارئهم، و هو سبحانه يقابلهم بعفوه وعطفه.

ونقل الحموي عن أبي بكر بن كامل صاحب ابن جرير قال: حضرت أبا جعفر حين الوفاة فسألته أن يجعل كل من عاداه في حلٍّ، وأن يصفح عمن تجنّوا عليه، وكنت أقصد أبا الحسن بن الحسين الصواف، إذ كنت قرأت عليه القرآن، فقال أبو جعفر ـ رحمه الله ـ كل من عاداني وتكلّم عني في حلٍّ، إلا رجلاً رماني ببدعة.

وكان الصوّاف من أصحاب أبي جعفر، وكانت فيه سلامة، ولم يكن من أصحاب الضبط والتدقيق، فلما أملى أبو جعفر «ذيل المذيل» ذكر أبا حنيفة و أطراه، ووصفه بالعلم والورع، فاغتاظ الصوَّاف؛ لأنّ أبا جعفر مدح أبا حنيفة وأهمله، فجعل يتهجم على أبي جعفر.

ويقول ابن كامل: إن الطبري كان إذا عرف من إنسان بدعة أبعده واطرحه.

فعامّة أخباره ـ رحمه الله ـ تنمّ عن شدة على المبتدعة والتحذير

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منهم، وإبطال حججهم بالدلائل النقلية والعقلية، لاسيما أهل البدع الغلاة كالرافضة والجهمية والمعتزلة والخوارج وهم المنتشرون في زمنه، رحمة الله تعالى عليه.

والمقصود أن ابن جرير رحمه الله قد توعد كل من يتهمه في عقيدته ودينه، أو ينحله قولاً لم يقله، أو يتجاوز عليه في قوله، أو يحمله ما لا يحتمل، أو من روى عنه خلاف ما قرره هو بنفسه في عقيدته المسماة بـ «صريح السنة» أو كتبه المنسوبة إليه حقًا، أو افترى عليه كذبًا وبهتانًا، وهذه عادة المغرضين والحساد والحاقدين - توعد كل هؤلاء بقوله في آخر عقيدته:

«فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر وضل وهلك فليبلِّغ الشاهد منكم أيها الناس من بَعُدَ منا أو قرب، فديننا الذي ندين الله به في الأشياء التي ذكرناها ما بيناه لكم على ما وصفنا، فمن روى عنا خلاف ذلك أو أضاف إلينا سواه أو نحلنا في ذلك قولاً غيره فهو كاذب مفتر متخرص معتد يبوء بسخط الله وعليه غضب الله ولعنته في الدارين، وحق على الله أن يورده المورد الذي وعد رسول الله ﷺ أضرابه، وأن يحله المحل الذي أخبر به النبي ﷺ أن الله سبحانه يحله أمثاله على ما أخبر به ﷺ.

قال أبو جعفر: وذلك ما حدثنا أبو كريب بإسناده عن سفيان

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأصبحي[١] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى؛ يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور، ويقول أهل النار: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى، فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحًا ودمًا، ورجل يأكل لحمه، فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس، ويقال للذي يجر أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ـ فيذكر كلامًا سقط عني ـ ويقال للذي يسيل فوه قيحًا ودمًا: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقال: إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة قبيحة فيستلذها كما يستلذ الرفث، ويقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقال: إن الأبعد كان يمشي بالنميمة ويأكل لحوم الناس».

حدثنا خلاد بن أسلم بإسناده عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ذكر امرأ بما ليس فيه ليعيبه حبسه الله في جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه».

حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس

---

(١) الصحيح: شفي بدل سفيان كما جاء في الإصابة، وهو تابعي.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يخمشون صدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» .

حدثني عليّ بن سهل الرملي بإسناده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بقيع الغرقد فوقف على قبرين ثريين قال: «أدفنتم هاهنا فلانًا وفلانة؟» أو قال: «فلانة وفلانًا» قالوا: نعم يا رسول الله ﷺ، قال: «قد أقعد فلان الآن يضرب» ثم قال: «والذي نفسي بيده لقد ضرب ضربة ما بقي منه عضو إلا انقطع، ولقد تطاير قبره نارًا، ولقد صرخ صرخة سمعها الخلائق إلا الثقلين من الجن والإنس، ولولا تمريج في قلوبكم وتزييدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع» قالوا: يا رسول الله وما ذنبهما؟ قال: «أما فلانة أو فلان فإنه كان لا يستتر[1] من البول، وأما فلان أو فلانة فإنه كان يأكل لحوم الناس».

حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي بإسناده عن أبي برزة الأسلمي قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته».

* * *

(١) بعض الروايات: يستنتر.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تصانيفه وآثاره

أفرغ شيخنا أبو جعفر الطبري حياته من المشاغل والملهيات وأقبل مكبًا على العلم بجميعه، طلبًا له أولاً، واستملاءً من الشيوخ ورحلة إليهم، ثم تدريسًا وإملاءً وإقراءً وتعليمًا.

وكان رحمه الله قد جعل من وقته في يومه جزءًا للتصنيف والكتابة هو ما بين صلاتي الظهر والعصر. حتى ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه: «أنه سمع علي بن عبيد الله السمسميّ اللغوي يقول: إن الطبري واظب على الكتابة أربعين سنة، ويكتب في كل يوم أربعين ورقة، وبحسابها يظهر أن مجموع ما كتبه أزيد من خمسمائة وثمانين ألف ورقة».

ونحو هذا ما أفاده الفرغاني أبو محمد في ترجمته لشيخه في الصلة على تاريخه: إن بعض تلاميذ الطبري قسّموا أوراق مؤلفاته على أيام حياته منذ بلغ الحُلُم إلى أن توفِّي، فخصّ كل يوم منها أربع عشرة ورقة، قال: وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق.

وإذا حسبت هذا أيضًا فإنه يبلغ مجموع ما كتب قريبًا من أربعمائة ألف ورقة، أي نحو ثمانمائة مجلد كبير.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعلى كلا الحالين هذا شيء كثير جدًا لم يوجد عُشْرُه، وإنْ دلَّ على شيء فإنه يدل على سعة علمه وغزارة إنتاجه، خصوصًا إذا علمنا أن تآليفه الكبار كانت إملاءً على تلاميذه.

ولا يُستغرب مثل هذا الكم، فإن الله بارك لأولئك العلماء في أوقاتهم، وأنسأ في أعمارهم؛ لأن هذا من تمام حفظه لدينه بهم، وإقامته الحجة على الناس، ولذا كان علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل، كما قاله صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا . . . و إن أهم كتب ابن جرير الآتي:

١ - تفسيره الكبير المسمَّى: **«جامع البيان في تفسير القرآن»**:

وهو أكبر تفاسير أهل السنة الموجودة، رغب أن يُملي على طلابه فيه ثلاثين ألف ورقة فما قدروا، فلخّصه إلى ثلاثة آلاف ليُسهل حفظه بنظرته، وقال فيه: حدثتني به نفسي وأنا صغير. وقال: استخرت الله تعالى في عمله، وسألته العون فيما نويته ثلاث سنين قبل البدء به فأعانني.

وهذا الكتاب أكمله ابن جرير. وقال فيه الفرغاني: لو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب، كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقصى لفعل، كعلم النحو والشعر والقراءات والآثار المسندة، والرد على أهل الأهواء في مسائل العقيدة، والفقه، والتاريخ، والبيان. بدأ

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في إملائه سنة (٢٨٣ هـ) ببغداد وأتمَّه في سنة (٢٩٠ هـ) بها.

وكتابه التفسير أشهر كتبه، وقد طُبع في ثلاثين جزءًا أولاً بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة (١٣٢١ هـ)، وطبع عدّة طبعات بعدها وصوِّرت مرّات، ثم حقّقه المحدث محمود محمد شاكر وطبع منه ١٦ مجلدًا إلى نصف الكتاب تقريبًا ولم يتمَّه، وطبعه بدار المعارف بمصر سنة (١٣٧٤ هـ).

وقد فُصل أخيرًا كلام ابن جرير الذي أنشأه من قبل نفسه في التفسير فطبع هذه السنة في سبعة مجلدات طبعته مؤسسة الرسالة بلبنان.

والكتاب في الحقيقة على أهميته القصوى يحتاج عناية وتصحيحًا وتوثيقًا لنصِّه، ودراسة لأسانيده وتخريجها، ولو إتمامًا لعمل الشيخ محمود شاكر.

وأما من ناحية نُسَخه الخطيَّة فهي كثيرة ذكر منها سزكين وبروكلمان عدة أجزاء منه، لكنها نسخ غير تامة في الغالب، ولا تخلو مكتبة كبرى في مدن العالم إلا وفيها هذا التفسير مطبوعًا أو مخطوطًا.

ومن أكبر نسخه حجمًا:

١ - في المكتبة المحمودية بالمدينة النبوية والمحفوظة الآن بمكتبة الملك عبد العزيز العامة غرب المسجد النبوي، منها خمسة مجلدات كبار أرقامها من (١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٢) وكل مجلد

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيه (١٠٠٦ ورقة، ٦٣٤ ورقة، ٧٦٦ ورقة، ٨٧٠ ورقة، ٦١٢ ورقة).

٢ - وفي مكتبة محمد مراد ملا بتركيا نسختان إحداهما في خمسة مجلدات والثانية في أربعة مجلدات، أرقامها متسلسلة فيها من (١١١ - ١٢١).

٣ - وفي مكتبة آيا صوفيا باستنبول ثلاث نسخ في مجلدات كبار يصل أحدها إلى ٢٥٣ ورقة، وأرقامها في تسلسل المكتبة الخاصة من (١٠١ - ١١٢)، الأولى مكتوبة في ١١٤٤ هـ والثانية والثالثة في نفس القرن الثاني عشر.

٤ - في مكتبة كوبرلي باستنبول نسخة في أربعة مجلدات كبار أرقام حفظها فيها (٨٥ - ٨٨)، وورقاتها على الترتيب (٣٨٠ ق من أول القرآن إلى سورة آل عمران و٤٠٦ ق من النساء إلى يونس و ٤٠٩ ق من هود إلى العنكبوت و٤٠٥ ق من العنكبوت إلى آخر القرآن) وكلها منسوخة سنة (١٠٨٣ هـ).

٥ - وفي مكتبة عاطف أفندي باستنبول نسخة في خمسة مجلدات كبار منسوخة كلها سنة (١١٤٠ هـ)، أرقامها على الترتيب من (١٨٦ - ١٩٠)، وعدد أوراقها كذلك (٤٧١ ق، و٤٧١ ق، و ٤١٩ ق، و٤٣٧ ق، و٤٦٥ ق).

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦ - وفي مكتبة دامادا إبراهيم باشا ضمن المكتبة السليمانية باستنبول منسوخة بين سنة (١١٣٢ - ١١٣٤ هـ) في أربعة مجلدات كبار أرقامها من (٣٣ - ٣٦)، ونسخة ثانية فيها أرقامها من (٢٨ - ٣٢) في ثلاثة مجلدات ضخام في سنة (١١٣٢ هـ).

٧ - وفي مكتبة فاتح ضمن السليمانية في أربع مجلدات كبار من (١٦٩ - ١٧٢) في سنة (١١٤٠ هـ) في (٤٧٤ ق، و٥٦٥ ق، و٥١٠ ق، و٤٢٩ ق).

٨ - وفي مكتبة فيض الله باستنبول نسخة في أربع مجلدات كبار أرقامها (٣٩ - ٤٢)، وعدد أوراقها على الترتيب (٤٢٦ ق، و٣٧٤ ق، و٥٧٢ ق، و٦٠٨ ق).

٩ - ويذكر نسخة في الأحمدية بتونس في ثمانية مجلدات من منسوخات القرن الثاني عشر.

وكذلك أجزاء متفرقة من التفسير تختلف في محتواها، متفرقة في المكتبات في تركيا ومصر والعراق والمغرب.

ولما كان التفسير بهذا الكبر والتوسع تناولته يد المختصرين، فأوّلهم - مما أعرف - الشيخ محمد بن حماد التيجي أبو محمد (٦١٥ هـ)، ونسخته مخطوطة بالجامع الكبير بصنعاء اليمن رقمه فيها ٢٠٤ في ٢٥٠ ورقة مكتوب في سنة وفاة المؤلف وانظر فهرسها في (١/ ٢١٠).

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما ترجم المختصر إلى اللغة الفارسية، وله نسخ في الجمعية الآسيوية بالبنغال رقم ٩٥٥، ودرسن بألمانيا رقم ٢٢، وفي المتحف البريطاني، والمكتبة الوطنية بباريس، وترجم مختصر آخر غيره أيضًا إلى الفارسية، ونسخة في آيا صوفيا رقم ٨٧، وسراي أمانه ٥٦٧، والمكتبة السليمية بأدرنه رقم ٤٣٦، مكتوبة سنة (٧٣٥ هـ).

٢ - تاريخ الطبري المسمَّى: **«تاريخ الرسل والملوك»**:

كتاب كبير في موضوعه، بدأ فيه من أخبار آدم عليه السلام إلى عصره، وهو على طريقة الأخبار، لكنّه في الغالب بالأسانيد، ولم يشترط ثبوت جميع ما فيه، لكنّه أسند ومن أسند فقد أحال، وانظر آخر مقدمته فيه.

ومما يؤخذ عليه - رحمه الله - فيه أنه اعتمد في حوادث الفتنة بين الصحابة في عهد علي بن أبي طالب والجمل وصفّين على مرويات أبي مخنف لوط بن يحيى، وهو رافضي متهم. وأميز ما في الكتاب منهج الاعتماد على المرويات المسندة، وتلطيفها بالتحليلات الذاتية من كلام المؤلف، والكتاب أتمَّه الطبري قبل وفاته.

والكتاب طُبع عدة طبعات أوّلها طبع جماعة من المستشرقين سنة ١٨٧٩ هـ، وطبع في مصر بعدها عدة طبعات حيث طبعته المطبعة الحسينية بها سنة ١٣٣٩ هـ عن النسخة الأوربية، لكن الطبعات

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصادرة للكتاب كانت مختلفة الأحجام بالنسبة لمجلدات الكتاب، وآخر طبعاته العلمية المعتمدة التي صدرت بتحقيق وضبط المحقق المعروف: محمد أبو الفضل إبراهيم، إذ أشار إلى أنه اعتمد على خمس عشرة نسخة مخطوطة مع الأصل الأوربي، وفاته بعض الأصول المهمّة.

وانظر الكلام على مخطوطاته ومختصراته وذيوله: بروكلمان وسزكين (٢/ ١٦٢ - ١٦٦)، ومقدمة الجزء الأول من المحققة، ومطبوع في آخره الذيل الذي جعله ابن جرير عليه، ويسمَّى بـ«صلة التاريخ».

٣ - كتاب «**تهذيب الآثار وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار**»:

وهو في الحقيقة من عجائب كتبه ونوادرها في منهجه وأسلوبه وعرضه و مضمونه، أتمّ منه مسند العشرة بدءاً من مسند الصديق، ثم مسانيد أهل البيت والموالي وبعض مسند ابن عباس، ومات قبل تمامه.

له نسخة - قطعة منه كبيرة - في مجلد بنحو ١٩٦ ورقة بمكتبة كوبرلي بتركيا رقمها ٢٩٦. وأيضًا قطعة من مسند عليّ منه برقم ٢٧٠ في ٨٤ ورقة من منسوخات القرن الثامن الهجري، وهي آخر أجزاء المسند، وقطعة من مسند عمر في مكتبة كوبرلي رقمها ٤١٣ في ١٣٣ ورقة.

وأشار الحوفي في كتابه «الطبري» إلى وجود نسخ في مكتبة عاطف

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أفندي وبا يزيد والفاتح باستنبول، وأن أول الكتاب موجود بمكتبة الأسكوريال بالأندلس، وهناك نسخة مصوّرة له عن أكسفورد بانجلترا، موجود فلمها بمركز الملك فيصل رقم ١٥٨٣.

وطبع الكتاب طبعتين غير كاملتين الأولى بتحقيق محمود شاكر، طبعته جامعة الإمام بالرياض في ثلاثة أسفار تضمنت أجزاء من مسانيد عمر وعلي وابن عباس - رضي الله عنهم -، والثانية بتحقيق د. ناصر الرشيد وعبد القيوم عبد رب النبي، و طبعه الملك فهد على نفقته، وهذا الكتاب أثنى عليه ابن كثير بقوله: «ومن أحسن ذلك - أي كتبه - «تهذيب الآثار» ولو كمل لما احتيج معه إلى شيء ولكان فيه الكفاية، لكنّه لم يتمَّه». وقدّر حجمه الذهبي بأنه لو تمّ لبلغ مائة مجلد، فسبحان الله العظيم. وكان الكتاب موجوداً على ما تركه عليه الطبري إلى حياة الجلال السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ).

وفيما يلي - بعد ذكر تواليفه الكبار - هذا السرد لبقية تواليفه حسب حروف المعجم، و إغفال لفظة كتاب في أوله، ومصدر هذا الثَبْت الصّفديّ وياقوت والذهبي وغيرهم ممن ترجموا له واعتنوا بكتبه.

٤ - كتاب «**اختلاف الفقهاء**»:

ويُسمَّى «اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام»، ذكر

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فيه المسائل الخلافية بين المجتهدين كالأئمة الثلاثة: أبي حنيفة ومالك والشافعي، وذكر فيه قول الأوزاعي والليث ونحوهم. وفيه أغفل ذكر خلاف أحمد، وعليه أفاد بأنه كان محدثاً لا فقيهًا. وذكر أدلة كل قول مما يورده مفصلة ثم يرجح في آخر كل مسألة الراجح عنده بقوله: والصواب عندنا كذا، أو قال أبو جعفر.

وطُبع الكتاب في مجلد لطيف وحققّه د. فردريك كيرن وهو مستشرق ألماني، وطُبع بمصر بمطبعة الموسوعات في سنة ١٣٢٠هـ، وسمَّاه «اختلاف الفقهاء»[(١)].

وأظن الكتاب ليس كاملاً في هذا الحجم؛ لأنَّهم ذكروا أنه في ثلاثة آلاف ورقة أي بنحو التفسير.

ومما يدل عليه أنه لم يُذكر في المطبوع سوى العقود من أبواب البيع نحو: المزارعة والمساقاة والغصب والكفالة والرهن والسّلم والخيار والمدبَّر من أبواب العتق. وهذا الكتاب أيضًا مما أتمَّه المؤلف قبل وفاته، نصَّ عليه الذهبي، و لم يستقص في هذا الكتاب؛ حيث سأله أحمد

---

(١) وهذه الطبعة من كيرن عن نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم (٦٤٥ فقه)، كما حقق الكتاب ـ قطعة منه ـ يوسف شاخت عن نسخة في مكتبة الدولة ببرلين برقم (٤١٥٥)، وطبعه في ليدن سنة ١٩٣٣م، وهذه النسخة في أربعة أقسام. وذكر سزكين أنه يوجد قسم من كتاب «اختلاف الفقهاء» بعنوان «مختصر علماء الأمصار» في تركيا بمكتبة رئيس كتاب رقم (٣٨٢) في نحو ١١٨ ورقة من منسوخات القرن الخامس الهجري. وهذا على كل حال أكبر من القطع التي أخرجها هذان المستشرقان.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن عيسى عن سبب تأليفه؟ فقال: ليتذكَّر به أقوال من يناظره لا الاستطراد في مسائله ومناقشاته؛ بل لمجرد الذكرى.

٥ - كتاب: «اختيار من أقاويل الفقهاء»:

وربما هو جزء من سابقه، ذكَره ياقوت.

٦ - كتاب: «أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة»:

ويذكر له عنوان آخر هو: «أدب النفس الشريفة والأخلاق الحميدة»، ويُسمَّى «الآداب»، وموضوعه ما يتعلق بالقلوب من الورع والزهد والإخلاص والرياء والكبر والتواضع والصبر والخشوع.

بلغ في تصنيفه أربعة أجزاء في خمسمائة ورقة، وشرع في كتابته في أول سنة ٣١٠ هـ، لكنَّه مات قبل أن يُتمَّه.

ويذكر الذهبي أن هذا الكتاب هو أول كتاب شرع في تصنيفه بعنوان «ترتيب العلماء»، ووصفه بأنه من كتبه النفيسة، لكن وقوع منيَّته منعه من إكماله، ثم عرف عند العلماء بالآداب، وهو قطعته الأولى.

٧ - كتاب: «آداب القضاة»:

وهو في نحو ألف ورقة، تكلَّم فيه عن آدابهم وأخلاقهم ومدحهم، وماذا يجب أن يكونوا عليه، وفن عمل السجلات والشهادات وترتيبها

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وحفظها. ولعلَّه هو الكتاب المشهور بـ «المحاضر والسجلات» له، ذكره الذهبي، كما ذكر أن من ضمن كتابه الكبير البسيط كتاب «آداب الحكَّام» فربَّما يكون هو ذا، والله أعلم.

٨ - كتاب: «**آداب المناسك**» ويُسمِّيه بعضهم «**المناسك**»:

وصفه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٨/ ٣٥٢) بقوله: «هو لما يحتاج إليه الحاج من يوم خروجه، وما يحتاج إليه من الإتمام لابتداء سفره، وما يدعو به ربه عند ركوبه، ونزوله ومعاينته المنازل والمشاهد إلى انقضاء حجّه».

وهذا الباب في الحقيقة اهتم العلماء من القديم بالتصنيف فيه استقلالاً، وكتبه الخاصة به كثيرة، ولعلّه الذي يُسمِّيه بعضهم «مختصر مناسك الحج».

٩ - كتاب: «**بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام**»:

وموضوعه الأحكام الفقهية التفصيليّة، جمع فيه فقه الصحابة في الأمصار: المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وخراسان، ثم التابعين، وهو على اسمه بسيط، بسط فيه أدلة الأقوال من القرآن والسنة وأقوال الصحابة حتى خرّج كتاب الطهارة منه في ألف وخمسمائة ورقة، نصّ عليه الذهبي عن الفرغاني، وخرّج منه أكثر كتاب الصلاة؛ ولأجله اختلفوا في تقديره بين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ ورقة،

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومات ابن جرير قبل إتمامه.

ويرى بعض العلماء أن كتاب «آداب القضاة» أو «مراتب العلماء» يعتبر تقدمة لهذا الكتاب وتمهيدًا له، ولا يُبعد كما وصفوا الكتابين.

١٠ - كتاب «التبصير في معالم الدين»:

هذا اسمه في كتب التراجم عامّة، وورد اسمه في المخطوطة له «تبصير أولي النهى ومعالم الهدى»، وهو كتاب في نحو ثلاثين ورقة، الموجود منه ٢٤ ورقة فقط، وهو رسالة بعث بها المؤلِّف إلى بعض المحبِّين له من أهل السنة بطبرستان بمدينة «آمل» في إيضاح قصد السبيل لما اختلف الناس فيه من أهل الأهواء والبدع في مسائل العقيدة المهمة وبيان مذاهبهم فيها، ونقد مذهب المعتزلة خصوصًا من الناحية العقلية، مع تجليّة القول المختار عند أهل السنة بقوله هو من عند نفسه بعبارة: قال أبو جعفر، أو الصواب عندنا في هذا القول كذا.

وهذا الكتاب من الكتب التي أتمَّها المؤلف، لكن في المخطوط مخرومة الآخر بنحو ست ورقات، والكتاب يُطبع لأول مرَّة عن نسخته الوحيدة - كما أعلم - في الأسكوريال بتحقيقي وتعليقي.

وقد سماه بعض المتقدمين بـ «البصير في معالم الدين»، وتبعه عليه بعض الباحثين، وهو تصحيف ظاهر.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١١ - كتاب «الخفيف في أحكام شرائع الإسلام»:

وقد يُسمَّى «الخفيف في الفقه» اختصارًا، وهو كتاب في الفقه مختصر من كتابه «لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام» وسيأتي ذكره.

اختصره بأمر الوزير أبي أحمد العباس بن الحسن العزيزي، لَمَّا أراد النظر في شيء من الأحكام، كَتَبَ لابن جرير في ذلك، فعمل له هذا المختصر المسمَّى بالخفيف ليصلح تذكرة للعالم والمبتدئ والمتعلم، وجاء بنحو أربعمائة ورقة في مجلد كبير، وفيه وجّه الوزير إلى ابن جرير ألف دينار مكافأة فردّها عليه ولم يقبلها، ولما قيل له: خذها وتصدَّق بها، قال: أنتم أوْلَى بأموالكم وأعْرَف بمن تتصدقون عليه.

١٢ - كتاب «ذيل المُذيَّل»:

وهو الذي سمَّاه الذهبي «تاريخ الرجال»، وهو ذيل عمله على كتابه «التاريخ»، أرَّخ فيه على طريقة تواريخ المحدثين للصحابة والتابعين والطبقات بعدهم إلى عصره، أورد فيه وفيّاتهم وأنسابهم ومن أخذ عنهم العلم، وشيوخهم إلى شيوخه، مع ذكر الكلام فيهم جُرحًا وتعديلاً، مع العناية بالمشهورين بالكنى والألقاب منهم رجالاً ونساءً، وربما أورد بعض نوادرهم وأخبارهم، أو براءتهم مما اتهموا به من قول أو مذهب أو عقيدة. وقد طُبع الكتاب بعضه باسم «المنتخب من كتاب

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذيل المذيل» وألحق في آخر تاريخه، بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.

والكتاب في الأصل كبير الحجم، قُدِّر بنحو ألف ورقة، أملاه بعد سنة ثلاثمائة، وقد أتمَّه. وذكره ابن خير الأشبيلي في عداد مروياته في الفهرست له (ص ٢٢٧)، وأنه في عشرين جزءًا، ويبدو أن المطبوع مختصر منه أو بعضه.

١٣ - كتاب «الرد علي ذي الأسفار»:

والمقصود به شيخه داود بن علي الأصبهاني الظاهري، ألَّفه بعد مناقشة مع شيخه، وصدور كلام من أحد طلابه أساء إلى الطبري، ووصفوه بأنه رد عليه؛ لأنه لا يعرف إلا ما في الكتب والأسفار، ولا يستطيع الاعتماد على تفكيره وعقله، أخرجه على دفعات حتى أخرج منه قطعة في مائة ورقة، ولما كفّ بصره وقف عن إملائه وتركه.

١٤ - كتاب «الرد على ابن عبد الحكم على مالك»:

تفرد بذكره ياقوت، وابن عبد الحكم هذا هو أحد شيوخه في مصر أخذ عنهم الفقه المالكي وأخبار الناس، وهم ثلاثة أخوة: عبد الله ومحمد وسعد، وأغلب الظنّ أن المراد به الأول؛ لأنه أشهرهم، وهو أبرز تلاميذ عبد الله بن وهب القرشي تلميذ مالك.

وموضوع الردّ مُبهم، فربما في الفقه، وربما في التاريخ وأخبار

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الناس، أو يكون في مسألة أخرى!

١٥ - كتاب «الرد على الحرقوصية»[١] :

لعلّه كتابه الذي سمَّاه «كتاب أهل البغي» في رسالته «التبصير» في الفقرة (٢٣)، وموضوع الكتاب أحكام الخوارج في مسألة الإمامة، وصفات الإمام، وشروطه، والخروج عليه، وأحكام ذلك تفصيلاً.

والحرقوصية هم الخوارج أتباع حرقوص بن زهير السعدي، أحد أتباع عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - في صفّين، ومن الخوارج المحكمة الأولى الذين خرجوا يوم النَّهْرَوان وقتلهم عليّ وأصحابه.

وهو من كبارهم ودعاتهم؛ بل يُقال إنه هو المعيبة يده الذي جاء وصفه في الحديث الوارد في الخوارج في الصحاح من أن إحدى يديه «عضديه» مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، والذي قُتل يوم النهروان سنة (٣٧ هـ).

١٦ - كتاب «الرمي والنشاب»:

ذكره تلميذ ابن جرير عبد العزيز بن محمد الطبري فقال: إنه وقع

---

(١) أشار النجاشي الرافضي في كتابه «رجال الشيعة» (ص٢٤٦) إلى هذا الكتاب من مؤلفات محمد بن جرير بن رستم الطبري الرافضي، وظنّه بروكلمان من مؤلفات إمامنا، وظن أن الحرقوصية هم الحنابلة، وهو جهل منه، وعلى كل حال هذا الكتاب بهذه الصفة لا يناقض أن يكون لابن جرير الإمام عنوان مثله هو كتاب «أهل البغي»، وهو الذي أشار إليه بنفسه في كتابه التبصير.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إليه هذا الكتاب، وما علم أن أحدًا قرأه عليه، ولا ضابطًا ضبطه عنه، ولا ثقة ينسبه إليه، ثم رجّح أنه منحول عليه، وهذا الذي دعا ياقوت يشك في نسبته للإمام الطبري.

وأظن هذا الكتاب هو الموجود مخطوطًا بعنوان «رمي القوس» أو «صناعة القواسين ورمي السهام» الموجود بمكتبة المتحف البريطاني بلندن برقم (٩٢٦٥) مخطوطات شرقية. وانظر بروكلمان، ملحقه (١/ ٩٠٦) وسزكين (٢/ ١٦٨)، وهو كتاب صغير.

١٧ - رسالته الموسومة بـ «صريح السنة»:

وتُسمَّى أيضًا «شرح السنة»، وكلاهما مشهوران بهذا الاسم، وهي في عدة ورقات من الحجم الصغير. وفي هذا الكتاب أوضح ابن جرير - رحمه الله - عقيدته السلفية في الله وأسمائه وصفاته ورسوله ﷺ، وبين ما يدين به من مسائل العقيدة في طريقة مجملة، فهي أخصر من عقيدة الطحاوي المشهورة، وقد تلقَّى الناس هذه العقيدة بالقبول وتداولوها، ونقل منها العلماء كثيرًا في كتبهم إعظامًا لها واعترافًا.

ويُقال: إنه كتبها لَمَّا كان محبوسًا في داره وقت محنته، لما اتُّهم في عقيدته، فكانت قذى في عيون أهل الأهواء، فلا نامت أعين الجبناء.

وطُبعت هذه العقيدة مرتين بدلهي بالهند سنة (١٣١١، ١٣٢١ هـ) ثم بمصر، كما طبعها معلقًا على أجزاء منها ومقدمًا لها الشيخ عبد الله

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن حُميد بمكة سنة (١٣٩١ هـ)، وحقّقها أخيراً يوسف معتوق.

وأشار محمد أبو الفضل إبراهيم إلى نسخة لها خطيّة في مكتبة روفان كشك الملحقة بمكتبة أحمد الثالث باستنبول برقم (٥١٠) (٤٦ - ٤٩) مكتوبة في سنة (١٠٨٤ هـ) ضمن مجموع[1]، وانظر سزكين (٢/ ١٦٨).

١٨ - رسالة في جزء «حديث الهميان»:

رسالة مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية برقم (١٥٥٨) ضمن مجموع، ورقم (٢٥٥٤٧ ب) في ٨ صفحات منسوخة سنة (١٣٥١ هـ)، ولعلّها منسوخة عن الأولى، وانظر فهرسها (١/ ١٠٨، ٢٠٩).

وقد أشار إلى هذه الرسالة الخطيب البغدادي في التاريخ (٤/ ٣٧٢ - ٣٧٣) في ترجمة أحمد بن محمد المحاملي (٤١٥ هـ)، قال الخطيب: وقد سألته غير مرة أن يُحدثني بشيء من سماعه فكان يعدني بذلك

(١) هذا المجموع في مكتبة روفان كشك مجموع نفيس جدًا حوى رسائل مهمة لعلماء أهل السنة في العقيدة السلفية، منها صريح السنة لابن جرير، ورسالة أصول السنة لابن أبي زمنين (؟! هـ)، وكتاب الأربعين في دلائل التوحيد لأبي إسماعيل الأنصاري الهروي (٤٨١ هـ)، ورسالة عبد الملك بن عيسى بن درباس في الذب عن أبي الحسن الأشعري (٦٥٩ هـ)، والرد على الجهمية لمحمد بن إسحاق بن منده (٣٩٥ هـ)، وكتاب النزول - نزول الله سبحانه وتعالى في آخر الليل إلى سماء الدنيا -، وكتاب الصفات لله تعالى كلاهما لأبي الحسن الدارقطني (٣٨٥ هـ).
والكتاب مصوّر على فيلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة، وعنه صوّره بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويُرجئ الأمر إلى أن مات، ولم أسمع منه إلا خبر محمد بن جرير الطبري عن قصة الخرساني الذي ضاع هميانه بمكة. اهـ.

وذلك أن خرسانيًا أضاع هميانًا (أي كمرًا) له بمكة في حجّ سنة ٢٤٠ هـ، وبه ألف دينار، ثم إن شيخًا عمره أزيد من ثمانين سنة وجده، فجعل الخرسانيُّ يسأل الحجاج عنه حتى راجعه ذلك الشيخ فيه، فأعطاه إياه، فدفع الخرساني له الألف دينار، وأخذ هميانه. جرى ذلك كله بحضرة ابن جرير ومرأى بصره.

ثم إن ذلك الشيخ ـ الموهوب الدنانير ـ أخبر ابن جرير بإسناده عن أحمد بن يونس اليربوعي، سمعت مالكًا سمعت نافعًا عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لعمر وعلي رضي الله عنهما: **«إذا أتاكما الله بهدية بلا مسألة، ولا استشراف، نفس فاقبلاها ولا ترداها؛ فتردَّاها على الله عز وجل»**.

ثم إن الشيخ قسَّم الألف دينار على أهله، وأعطى ابن جرير منها مائة دينار، نصيبه من الهدية.

قال ابن جرير: فكتبت العلم بها سنتين، أتقوى بها وأشتري بها الورق، وأسافر وأعطي الأجرة.

١٩ - كتاب **«العدد والتنزيل»**:

ذكره ياقوت وابن عساكر والسبكي والذهبي في التذكرة، وما

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أدري ما هو؟ وإن كان عنوانه يُشعر أنه في عدد الآي وتنزيلها والسور، وقد يكون جزءاً من كتابه الكبير «القراءات وتنزيل القرآن»، وسيأتي، والله أعلم، وأشار إلى نحو هذا الذهبي، فقال في عداد مؤلفاته: [. . . وتم له كتاب «القراءات والتنزيل والعدد»].

٢٠ - كتاب «فضائل أبي بكر وعمر»:

وسبب تأليفه هذا الكتاب أنه سمع في بلده - آمل طبرستان لمَّا رجع إليها بعد رحلاته العلمية - من يسبّ الشيخين ويستطيل عليهما بلسانه، فأملى فيها هذا الكتاب، ثم استدعاه والي البلد بسببه فهرب إلى بغداد، وبها أقام حتى وفاته.

فموضوعه فضائلهما، والرد على الرافضة فيما يدعون عليهما، ولكنه مات ولم يُتمَّه.

٢١ - كتاب «فضائل العباس بن عبد المطلب»:

وموضوعه في فضل عم النبي ﷺ والرد على مبغضيه، ولم يتمّه أيضًا، ويُقال: إنه صنّفه لما سأله العباسيون في العراق أن يؤلّف في فضل العباس، وهذا محل شك عندي؛ لأنه لو كان كذلك لكان في فضل أبناء عبد الله وأبنائهم، ولكن ربما أنه أراد ذلك، ولكن المنيّة عارضت إتمام إملائه، أو قصد فضائل العباس ثم أبناءه وهكذا، والله أعلم.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٢ - كتاب «فضائل عليّ بن أبي طالب»:

وهو الذي يُسمَّى كتاب «أحاديث غدير خم» وسببه أن بعض الشيوخ في بغداد كذَّبوا هذا الحديث، وقال: إن عليًا كان باليمن في الوقت الذي حدَّث الرسول ﷺ بغدير خم - وهو موضع بين المدينة ومكة قُرب رابغ -، فلمَّا بلغ الطبري هذا شرع في الكتاب مبتدئًا في فضائل علي بن أبي طالب، ثم ذكر حديث الغدير وطرقه والكلام عليها وأحكامه وعلله، وهو كتاب كبير، ذكر ابن كثير أنه رآه في مجلدين، بل في «منتخب تاريخ علم الدين» للبرزالي - المعاصر لابن تيمية - ذكر أنه رآه في مجلدين ضخمين، ذكره محقق «اختلاف الفقهاء» (ص ١٢)، وكذلك الكتاب لم يُتمّ الطبري إملاءه.

وهذا بعض العلماء يجمع الكتب الثلاثة الأخيرة تحت عنوان واحد هو «كتاب الفضائل» منهم الذهبي وابن عساكر حيث قال: « . . . ولما بلغه أن أبا بكر بن أبي داود السجستاني تكلّم في حديث غدير خم، عمل كتاب الفضائل فبدأ بفضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، واحتجّ لتصحيحه، وأتى من فضائل أمير المؤمنين بما انتهى إليه». ولا يمنع هذا أنه أملى فضائل الشيخين أولاً في آمل طبرستان ثم أدرجه ضمن كتاب الفضائل، والله أعلم. وربما كان الكتاب هكذا ثم لما تفرّقت نسخه أو كان نسخ التلاميذ لها أو بعضهم جعلوا فضائل كل منهم في كتاب.

والسبب في عدم إكمال هذه الكتب يحكيه ياقوت بعد ذكره فضائل

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العباس فقال: « . . . ثم سأله العباسيون في فضائل العباس، فابتدأ بخطبة حسنة، وأملى بعضه وقطع جميع الإملاء».

٢٣ - كتاب «في عبارة الرؤيا»:

ذكره ياقوت؛ حيث جمع فيه أحاديث الرؤيا وما يتعلق بها ولم يتمّه.

٢٤ - كتاب «القراءات وتنزيل القرآن»:

وربما سُمِّيَ «الجامع في القراءات»، وهو من الكتب التي أتمّها.

قال عنه أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ (٤٤٦ هـ) في كتابه «الإقناع في القراءات الشاذة»، وله في القراءات كتاب جليل كبير رأيته في ثمان عشرة مجلدة، إلا أنه كان بخطوط كبار، ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ وعلّل ذلك، وشرحه، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور، وقال ياقوت: إنه كتاب جيد.

وقال صاحب «كشف الظنون»: فيه نيف وعشرون قراءة.

وله نسخة في المكتبة الأزهرية بمصر رقمها (١١٧٨) في ١٢٨ ورقة مكتوبة في سنة (١١٤٣ هـ)، انظر فهرس الأزهرية (١/ ٧٤). وعنوانه هناك «الجامع في القراءات من المشهور والشواذ»، ولعل هذا الموجود قطعة من الكتاب على حد وصف الأهوازي ولابد، أو مختصراً له.

٢٥ - كتاب «لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام»:

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويأتي الاختلاف في عنوانه، وهو الذي يُختصر ويُسمَّى «اللطيف» وهو كتاب كبير في نحو ألفين وخمسمائة ورقة، أي يقرب من حجم كتاب التفسير.

وقد قيّد فيه مذهبه الفقهي الاجتهادي، والكتاب ـ كما وصفوه ـ من أنفس كتبه، ومن أهم مصادر أمهات المذاهب وكتب الفقهاء وأسدها تصنيفًا، وتضمن مع المسائل الفقهية التفصيلية مباحث أصول الفقه مثل: الإجماع، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفسر، والخصوص والعموم، والاجتهاد، والاستحسان وحجيته، وأخبار الآحاد، والمراسيل.

ويزيد كتابه هذا على كتب الاختلاف بثلاثة كتب هي: اللباس، وأمهات الأولاد، والشرب. وقد سمَّاه ابن جرير في التفسير (٧/ ٢٠٠) باسم «لطيف البيان عن أصول الأحكام»، وفي (٢/ ٥٣٩) (شاكر) سمَّاه «البيان عن أصول الأحكام» فالعنوان فيهما غير دقيق، وكتابه السالف الذكر «الخفيف» مختصر من هذا الكتاب، علمًا بأنه من الكتب التي أتمَّها قبل موته ـ رحمه الله ـ.

٢٦ - كتاب «مختصر الفرائض»:

هكذا ذكروه، هل هو مختصر لكتاب سبقه من تأليفه أو تأليف غيره؟ أو هو قصد به اختصار مسائل الفرائض فيه؟ الله أعلم.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد ذكره ياقوت والصفدي أيضًا.

٢٧ - كتاب «المسترشد»:

ذكروه في ترجمته، ووقع عندي شك بأنَّه الذي سمَّاه في كتابه «التبصير» بكتاب «تبصير المستهدي»، وهو في العقيدة واختلاف الفرق في مسائلها، هذا محل شك!، والله أعلم. ذكره ابن النديم.

٢٨ - كتاب «المسند المجرد»:

ويصفه الذهبي بأنّه «المسند المخرج»، وهو من أنفس كتبه، لكنّه لم يُتمَّه، جمع فيه ما رواه عن شيوخه من الأحاديث والآثار.

وقال فيه الذهبي: يأتي فيه على جميع ما رواه الصحابي من صحيح وسقيم، ولم يتمَّه.

٢٩ - كتاب «الموجز في الأصول»:

ولم يكمّله، بدأ فيه برسالة الأخلاق، وذكره ياقوت.

٣٠ - كتاب «الوقف»:

ذكره محمد أبو الفضل إبراهيم، وأنَّه ألَّفه للخليفة العباسي المكتفي، أورد فيه ما اجتمعت عليه أقوال أهل العلم وسَلَم فيه من الخلاف.

وأظنّ أن المراد به «اختلاف الفقهاء» أو «اختلاف علماء الأمصار»

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السالف الذكر، فقد كتبه بهذه الصفة المطلوبة مختصراً بأمر وزير المكتفي، وسبب تسميته «الوقف» قول الخليفة المكتفي: «أريد أن أوقف وقفًا تجتمع أقاويل العلماء على صحته ويَسلم من الخلاف، فأشير عليه بابن جرير؛ ولذا سمَّاه المحقّق هنا بكتاب «الوقف»، وربما يكون المراد به كتابه «الخفيف» وهو احتمال أيضًا.

* كما ذكر كتابًا آخر هو «طرق الحديث»، ونقل عن الذهبي في التذكرة (٢/ ٢٥٣) قوله: «رأيت مجلدًا من طرق الحديث لابن جرير فاندهشت له ولكثرة طرقه».

قلت: هو ـ والله أعلم ـ كتابه في أحاديث غدير خم؛ لأنه جمع فيه طرق حديث الغدير، وتكلَّم عليها وأسانيدها وعللها، حتى قال الذهبي في السير: قلت: جمع طرق حديث غدير خم في أربعة أجزاء، رأيت شطره فبهرني سعة رواياته وجزمت بوقوع ذلك، وقوله ـ رحمه الله ـ: «رأيت شطره» يوافق ما في التذكرة من أنه رأى منه مجلدًا، والكتاب كما وصفوه في مجلدين كبيرين، والله أعلم.

٣١ - كتاب «الطير»:

وصفه الحافظ ابن كثير بقوله: رأيت له كتابًا جمع فيه حديث الطير، ذكره في «التاريخ» ولم أجده لغيره.

٣٢ - ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه (١/ ١٤٤٦) (الطبعة

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأوربية) أنه يؤلِّف كتابًا في «دلائل النبوة»، لكن لم يذكر له في عداد مؤلفاته، فإما أنه لم يُؤلّفه أصلاً، وهو الظاهر، أو أنه بدأ فيه ولم يُتمَّه، ولم ينتشر بين طلابه ومترجميه.

٣٣ - وقد ذكر ابن رجب في أحكام الخواتم كتابًا لابن جرير نقل منه اسمه «**أسماء من روى عن النبي ﷺ من القبائل**» ص٣٩.

نقل منه حديثًا بإسناد ابن جرير، فما أدري أهو كتاب مستقل له، أو له عنوان آخر وهو أحد ماسبق ذكره؟!.

٣٤ - كتاب «**الغرائب**»:

وهو من الكتب التي أتمها، ذكره الداودي في طبقات المفسرين (٢/ ١١١).

٣٥ - كتاب «**الشروط**» أو «**أمثلة العدول**».

٣٦ - كتاب «**الأيمان**»:

ذكره هو عند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ الآية ٢٢٦ من سورة البقرة.

٣٧ - كتاب «**الجراح**»:

ذكره عند تفسيره آية الإسراء ٣٣: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ الآية.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولعل هذين الكتابين بابان من كتبه المطولات كالبسيط أو اللطيف، والله تعالى أعلم.

هذه صورة عامة لآثار ابن جرير الطبري العلمية من تصانيفه حرصت على جمعها والتعريف بها.

* وأورد ياقوت في معجمه عن أبي القاسم بن حبيش الوراق قال: كان قد التمس مني أبو جعفر أن أجمع له كتب الناس في القياس، فجمعت له نيفًا و ثلاثين كتابًا، فأقامت عنده مديدة، ثم كان من قطعه الحديث قبل موته بشهور ما كان، فردّها عليَّ وفيها علامات له بحمرة قد علّم عليها.

* وقد نسب إليه بروكلمان كتابًا سمَّاه «تاريخ صنعاء»، وهو وهم منه؛ لأن هذا الكتاب لطبريٍّ غيره، هو أبو العباس أحمد بن عبد الله الصنعاني المتوفى سنة (٤٦٠ هـ)، فهو من الطبريين الذين وفدوا على اليمن وأقاموا بها، وكتابه هذا محفوظ في دار الكتب المصرية القومية.

* ونسب إليه كتاب «بشارة المصطفى» وهو في الحقيقة لأبي جعفر محمد بن علي الطبري الآملي الرافضي، وهو في ١٧ جزءًا، وصاحبه من أهل القرن السادس عشر.

* كما أن هناك كتبًا استلّت من كتبه الكبار كالتاريخ والتفسير، وطُبعت مستقلّة، ويزعم مستلوها أنهم حققوها، ومن هذه الكتب:

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١ - تفسير سورة الفاتحة.

٢ - استشهاد الحُسَيْن.

٣ - الآثار الباقية عن القرون الخالية، وطُبع سنة (١٣٣٧هـ).

* * *

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفاتــه

بعد هذا التطواف الجميل الممتع مع النفحات العبقة من سيرة هذا الإمام العَلَم الكبير الشأن نعود إلى البدء مرة أخرى بالإشارة إلى وفاته بعد عمر طويل في العلم والتعلّم والتعليم: جهاد العلماء والمصلحين على مدى عمر طوله ست وثمانون ربيعًا.

إذا تمّ أمـــرٌ بـدا نـقـصـه تـرقـب زوالاً إذا قـيـل تمّ

وافت المنية إمامنا في سنة (٣١٠ هـ) في شهر شوال منها، لكن اختلفوا في اليوم والوقت على ثلاثة أقوال.

وشيّعت جنازته حيث حضرها عدد لا يحصيهم إلا الله، فاجتمع الناس ببغداد لما توفّي، من الأقطارحولها، وصلّي عليه بداره ودُفن بها، وبقي الناس يترددون على قبره مددًا يصلّون عليه من كثرتهم. وقد قيل لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز؛ لأنه يوم الفقد، وفيه يفقد الناس الصالحين، ويتخلّصون من أضدادهم. والعلماء والصالحون أثرهم في الناس واضح بالدعوة إلى العلم والخير والتدين، وأولئك محدثون في الأمة، مفسدون لعقائد المجتمع وسلوكهم، أهل شر وضلالة.

* * *

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مراثيــه

ذكر تلميذ ابن جرير أحمد بن كامل في ترجمته له: أنه رثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب فرقًا على فقده، وتعبيرًا عن تلك الأحاسيس تجاه هذا العَلَم الشامخ.

وكان أشهر من رثاه محمد بن الحسن بن دريد الأديب واللغوي المشهور (٢٢٣ - ٣٢١ هـ)، رثاه بقصيدة أوردها مسندة الذهبي في السير ومنها قوله:

لن تستطيع لأمر الله تعقيبًا

فاستنجد الصبر أو فاستشعر الحوبا

وافزع إلى كنف التسليم وارض بما

قضى المهيمن مكروهًا ومحبوبا

ولا تَفَرق ألاف يفوت بهم

بينٌ يغادر حبل الوصل مقضوبا

لكن فقدان من أضحى بمصرعه

نور الهدى وبهاء العلم مسلوبا

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن المنية لم تُتلف به رجلاً

بل أتلفت عَلَمًا للدين منصوبا

أهدى الردى للثرى إذا نال مهجته

نجمًا على من يعادي الحق مصبوبا

كان الزمان به تصفو مشاربه

فالآن أصبح بالتكدير مقطوبا

كلا وأيامه الغر التي جعلت

للعلم نوراً وللتقوى محاريبا

لا ينسري الدهر عن شبه له أبدًا

ما استوقف الحج بالأنصاب أركوبا

إذا انتضى الرأي في إيضاح مشكلة

أعاد منهجها المطموس ملحوبا

لا يولج اللغو والعوراء مسمعه

ولا يقارف ما يغشيه تأنيبا

تجلو مواعظه رين القلوب كما

يجلو ضياء سنا الصبح الغياهيبا

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يأمن العجز والتقصير مادحه

ولا يخاف على الإطناب تكذيبا

ودّت بقاع بلاد الله لو جُعلت

قبراً له فحباها جسمُهُ طيبا

كانت حياتك للدنيا وساكنها

نوراً فأصبح عنها النور محجوبا

لو تعلم الأرض من وارت لقد خشعت

أقطارُها لك إجلالاً وترحيبا

إن يندبوك فقد ثلت عروشهم

وأصبح العلم مرثيًا ومندوبا

ومن أعاجيب ما جاء الزمان به

وقد يبين لنا الدهر الأعاجيبا

أن قد طوتك غموض الأرض في لحف

وكنت تملأ منها السهل واللوبا

إلى آخرها . . . وانظر ديوان ابن دريد (ص٦٧ وما بعدها).

وأيضًا هذه مرثية المحدث الحافظ أبو سعيد بن الأعرابي (٢٤٤ - ٣٤٠ هـ):

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حدثٌ مفظع وخطبٌ جليل

دق عن مثله اصطبار الصبور

قام ناعي العلوم أجمع لما

قام ناعي محمد بن جرير

فهوت أنجم لها زاهرات

مؤذنات رسومها بالدثور

وغدا روضها الأنيق هشيمًا

ثم عادت سهولها كالوعور

يا أبا جعفرٍ مضيت حميدًا

غير وانٍ في الجد والتشمير

بين أجرٍ على اجتهادك مو..

فور وسعي إلى التقى مشكور

مستحقًا به الخلود لدى

جنة عدنٍ في غبطة وسرور

نرجو الله له ذلك، وأن يجمعنا به فيها مع سلفنا الصالحين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ووالدينا ومشائخنا والمسلمين، وأن

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يُضاعف مثوبته ويعلي درجته، آمين.

اللَّهم صل على عبدك محمد وآله وصحبه أجمعين.

«تم في: ٢٥/ ٨/ ١٤١٥ هـ عشاءً».

* * *

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مصادر ترجمة الإمام ابن جرير

١ - الإمام الطبري في ذكرى مرور ١١ قرن على وفاته (الإيسيسكو ١٩٩٢م).

٢ - تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢ - ١٦٩).

٣ - شذرات الذهب (٢/ ٢٦٠).

٤ - معجم الأدباء (١٨/ ٤٠ - ٩٤).

٥ - الرسالة المستطرفة للكتاني (ص/ ٤٣).

٦ - سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧ - ٢٨٢).

٧ - النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٣/ ٢٠٥).

٨ - البداية والنهاية (١١/ ١٤٥ - ١٤٧).

٩ - طبقات الحفّاظ للسيوطي رقم (٧٠٣).

١٠ - إنباه الرواة للقفطي (٣/ ٨٩ - ٩٠).

١١ - تاريخ التراث العربي لسزكين (٢/ ١٥٩ - ١٦٨).

١٢ - اللباب في الأنساب لابن الأثير (٢/ ٨١).

١٣ - مفتاح السعادة لكبري زاده (١/ ٢٠٥) و(٢/ ١٧٤٦).

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٤ - غاية النهاية لابن الجزري (٢/ ١٠٦ - ١٠٨).

١٥ - كشف الظنون (ص٤٣٧، وبقية المواضع).

١٦ - المنتظم لابن الجوزي (٦/ ١٧٠ - ١٧٢).

١٧ - طبقات الشافعية لابن الصلاح.

١٨ - ميزان الاعتدال (٣/ ٤٩٨).

١٩ - الكامل لابن الأثير (٨/ ٤٢).

٢٠ - دول الإسلام (١/ ١٨٧).

٢١ - روضات الجنات للخوانساري (ص/ ١٦٣ - ١٦٥).

٢٢ - تذكرة الحفّاظ (٢/ ٧١٠ - ٧١٦).

٢٣ - إيضاح المكنون (٢/ ٣١٨ - ٣٥٢).

٢٤ - العبر في خبر من غبر للذهبي (١/ ٢١٢، ٢١٣).

٢٥ - كنوز الأجداد لمحمد كرد علي (ص/ ١١٧ - ١٢٣).

٢٦ - الوافي بالوفيات للصفدي (٢/ ٢٨٤ - ٢٨٧).

٢٧ - معجم المؤلفين (٣/ ١٩٠).

٢٨ - طبقات الفقهاء للشيرازي (ص/ ٩٣).

٢٩ - الأعلام (٦/ ٦٩).

٣٠ - الأنساب للسمعاني.

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣١ - مقدمة التفسير لمحمود شاكر.

٣٢ - تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٨ - ٧٩).

٣٣ - مقدمة تاريخ ابن جرير: تاريخ الأمم والملوك.

٣٤ - وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ١٩١ - ١٩٢).

٣٥ - مقدمة تهذيب الآثار لعبد الله بن حميد.

٣٦ - طبقات القراء للذهبي (١/ ٢١٢ - ٢١٣).

٣٧ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان الأصل (١/ ١٤٢)، والملحق (١/ ٢١٧).

٣٨ - مرآة الجنان (ص/ ٢٦٠).

٣٩ - تاريخ دمشق لابن عساكر (١٨/ ٣٤٨ - ٣٥٣).

٤٠ - الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٤ وما بعدها).

٤١ - مجلة العربي الكويتية عدد ٤٠ (ص٤٠ - ٤٤) مقال لمحمد أبي زهرة.

٤٢ - فهرست ابن خير الإشبيلي (ص٢٢٧).

٤٣ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص١٤٤).

٤٤ - لسان الميزان لابن حجر (ص١٠٣ وما بعدها).

http://www.alukah.net/

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤٥ - القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري/ مقدمته.

٤٦ - طبقات الشافعية للسبكي (٣ / ١٢٠ - ١٢٨).

٤٧ - طبقات المفسرين للسيوطي (ص ٣٠).

٤٨ - طبقات المفسرين للداودي (٢ / ١٠٦ - ١١٤).

٤٩ - الإمام ابن جرير في ذكرى مرور أحد عشر قرنًا على وفاته (مجموعة بحوث وندوات عقدت في المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والفنون بالرباط وطبعت في مجلدين).

٥٠ - الإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف - رسالة دكتوراه بمكة.

* * *

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«الفهرست»

الموضوع	الصفحة
الابتداء	٥
الناحية العلمية في عصر ابن جرير	٩
عصره سياسيًا واجتماعيًا	١٢
اسمه ونسبه	١٥
ولادته ونشأته	١٥
أهم شيوخه الذين أخذ عنهم	١٨
رحلاته	٢٤
ثناء العلماء عليه	٢٨
أشهر تلاميذه	٣٢
خَلْقه وذكاؤه وحفظه	٣٦
عقيدته	٤٢
مذهبه الفقهي	٤٧

http://www.alukah.net/

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الموضوع	الصفحة
عبادته وتدينه	٤٩
جرأته في إظهار الحق	٥٢
زهده وورعه	٥٥
مكانته ومنزلته العلمية	٦١
بلاغته وشعره	٧٣
أخلاقه ومكارمه	٧٦
محنته وفتنته	٨٤
تصانيفه وآثاره	٩٤
وفاته	١٢١
مراثيه	١٢٢
مصادر الترجمة	١٢٧
الفهرست	١٣١

http://www.alukah.net/

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

الجديد
NEW & EXCLUSIVE